حب في زمن الثورة

مجموعة مؤلفين

حب في زمن الثورة

كتاب جماعي

الطبعة الأولى: ديسمبر 2015.

تصميم الغلاف: عصام أمين

تدقيق لغوي: هبة النجار

تنسيق داخلي: إسلام علي

المدير العام: رباب الشهاوي

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: **22930 /2015**

رقم الإيداع الدولي: **ISBN: 978-977-6534-04-9**

صادر عن جروب (رشحلي كتاب)

facebook.com/groups/RashahlyKtab

مؤسس الجروب: إسلام خليل

Alfouad_publishing@hotmail.com

facebook.com/fouadpublishing





حب في زمن الثورة

(كتاب جماعي)

د. أشرف الحبشي، عارف فكري،

وآخرون



إلىٍ صاحب الخطوات الثابتة.. الذي يمشي الهوينا تاركًا صخب الحياة يتخبط به فلا يكاد ينحني له فهو باحث عن نقطة من النور ترشده إلى الحقيقة.
لعله هنا يجد نوره.. ولعل هنا ضالته..

ندى عبدالوهاب (رشحلي كتاب)

إهداء

حين تم إنشاء مجموعة رشحلي كتاب، وحين كان عدد أعضائها ١٠٠٠ عضو، لم نكن لنتخيل أن تصل لهذا الكم من الأعضاء الذي يقارب ١٨٠٠٠٠ عضو. لكن مع ازدياد العدد وإحساس إدارة المجموعة بالمسؤولية تجاه كل فرد من أفرادها، كنا دائمًا نسعى للتطوير والتوجه ناحية كل جديد. لهذا نعتقد أن هذا الكتاب هو محصلة لمجموعة من العوامل أهمها على الإطلاق تواجدكم معنا؛ لأنكم كنتم عجلة الدفع بالنسبة لنا. حين أعلنت المجموعة عن المسابقة الأدبية، والتي وصلت بهذه القصص إلى الفوز بالنشر، لم نعتمد على أنفسنا في تقييم الأعمال، ولكننا انتهجنا الحياد التام، وكان ذلك عن طريق وجود لجنة للتحكيم مكونة من ٥ كُتَّاب وهم {د. منى حارس، أ. عمرو مرزوق، أ. وائل الخطيب، أ. محمد مسعد، د. مصطفى عبيد}. نتقدم لهم جميعًا بالشكر على إخلاصهم وتفانيهم وبذلهم الوقت والمجهود وآرائهم. شكرًا لكم ولهم.

المرايا

هاجر محمد جمال الدين

أنظر إلى المرايا...

أبحث عني...

سنين تمضي..

ليل مضني...

قلب يدمى...

أين ملامحي؟

ضاعت مني...

أبحث مرة...

وأعيد الكرة...

أين أنتِ يا نفسي؟

أسأل كثيراَ...

أتهاوى... أتشبث بيأسي

تحاول دموعي..

أن تعبث بي...

فتسيل على خدي..

تتمادى.. في كسري..

أتأوه... في صمتي

تتلذذ.. بضعفي

هل من سبيل.. للبحث عني؟

أنظر في عيني...

نظرتي.. تؤلمني..

تتوعدني...

لن أرى إلا الماضي...

أرهقتني... استفزتني

أمسكت بثقلي...

كسرت المرايا..

أحسست.. نبض قلبي

******

الحب في زمن الثورة

د.أشرف الحبشي

حالمان هما!!

راقبا فى انبهار لا يخلو من الحزن هزيمة آخر خيوط النهار البرىء، تحت وقع طعنات الليل القاسي التي أغرقت الشمس في لجة عميقة، تاركة دماءها من الشفق الأحمر يصبغ وجه الحبيبين السائرين على شاطىء (جليم).

قال لها:

ـ "هل يموت حلمنا كما ماتت تلك الشمس؟"

ردت بابتسامة عاقلة:

ـ "إن جدتنا في (تل العمارنة) قد أكدت لي أن الحب لا يموت"

الشمس تبتلعها (نوت) في جسمها الإنسيابي الذي يغطي قبة سمائنا الحنون، لتلدها مع أنفاس الفجر وليدًا جديدًا يضحك للحياة.

حبيبان هما!

جلسا مثل باقي العشاق على السور الحجري، وقد أدارا ظهريهما للعالم المجنون ليستقبلا الأمواج اللعوب، ورذاذها الذي يداعبهما بالصفع والتقبيل. كانا يريدان أن يقوما بفعل الحماقات الصغيرة كالتي يفعلها العشاق الأغرار من حولهما، ولكن الأمر ينتهي دائمًا بتأكيدها على إحكام وضع خمارها، وتأكيده على حرمة الخط الوهمي الفاصل بينهما.

جاران هما!

منذ نعومة الأظافر وهما معًا، يلعبان، يكبران، ينفصلان، يجتمعان فى كلية واحدة، عمل واحد، فكر واحد، مصير واحد، وحب واحد يجمعهما فيه مع حب الثورة التي انكسرت، والوطن الذى يكره شبابه.

عروسان هما!

رغم صعاب البدايات، وحسد الواشين والواشيات، ونزغ الشيطان الذى يزين له ترك محبوبته من أجل أخرى كثيرة المال فقيرة فى كل الصفات.

حائران هما!

قفز من السور فجأة، ليلتقط جنيهًا معدنيًا منسيًا بين الصخور، نظفه من أثر البحر، ومما يشبه قطرة دم متجلطة، قربه من فمه، ووشوش إليه بحبها، ثم أعطاها إياه. أحست بالمعدن يحرق راحة يدها، وبكراهية لا تملك لها دفعًا، فردَّته قائلة:ـ "يبدو أنه مال حرام!"

طلبت منه أن يلقيه فى البحر بلا سبب معقول، إلا حكمة المرأة التي توراثتها عبر آلاف السنين عن جدتها حواء، ولكن آدم عصرنا رفض للأسف. منذ ذلك اليوم وهو يحلم بكوابيس لا يفهمها، لأناس يفقدون حياتهم بالذبح أو بالغرق، مع تحذير خفي بالمحافظة على هذا الجنيه المعدني، وإلا لقي نفس المصير. تغيرت نظرته للدنيا، حتى مياه البحر صارت رمادية كلما نظر إليها، وأصبح يرى خطيبته الطيبة أكثر جهامة، وأقل جمالًا مع إنذار جلي بأن يوم زفافه بها هو يوم مقتلها! لم يعد يستطيع أن يترك المنزل إلا والجنيه اللعين يقهقه بصوت لا يسمعه إلا هو، ويستقر فى سعادة بجيبه

طاردًا كل شيء يوضع معه. فقد نقوده.. فقد سلسلة مفاتيحه التي تحمل صورتها.. فقد نفسه السمحة الطيبة! مرت الأيام وحياته قد انقلبت رأسًا على عقب، وحواء تحاول بلا جدوى فك القيد المسحور عن رقبته.

متبتلان هما!

جاء رمضان فاندفعا ليذوبا فى حلاوة العبادة، ولذة ابتلال السجادة السندسية بدموع التبتل والعرفان! شيئًا فشيئًا لاحظ أن الكوابيس قد اختفت، وأن الجنيه قد أصابه الخرس، وفقد سطوته. وفي ليلة اكتمل فيها القمر، ذهب بعد صلاة التراويح إلى خطيبته التي تَهرّب منها منذ أن عكر الجنيه الماكر صفاء حياته، ليخبرها بشجاعة بسره، وأنه سيتم زفافهما فى العيد إن لم تكن خائفة.

قالت له باسمة:

ـ "كنت أنتظرك.. كنت واثقة أنك ستنجح في الإختبار"

وعند غروب الغد أخذته إلى البحر، وفي نفس المكان أخرجت الجنيه الخبيث من جيبه رغم ممانعته الواهنة، لتلقيه بقوة وسط المياه، فعادت فى عينيه زرقاء صافية كما كانت.

سعيدان هما!

بعد عدة شهور عاد اللعين مرة أخرى ليستقر هذه المرة بين صخور (بير مسعود)، فتلتقطه يد ضحيته الجديدة التي يحدوه الأمل في أنها قد ترضخ له، وتصدق حقًا أنه يملك الموت والحياة!

******

أشياء ماتت بداخلي

نسرين مصطفى

"ليلة واحدة.. إن كنت مكانك لتزوجته، ولو لليلة واحدة.."

عبارة بشغف وحماس قالتها لي صديقتي المقربة ذات يوم، لن أنسى تلك العبارة ما حييت... لا أدري.. أو ربما أنساها.. حقًا لا أدري.. فكثيرة هي الأشياء التي تبددت، ولم تزل تتبدد داخلي.. تتلاشى بمنتهى البساطة، وكأنها ما كانت يومًا.

من الذي قال أن الاشياء الجميلة قد تتأخر لكنها حتمًا ستأتي!؟

لا أعلم.. لكني أعلم أن كل أشيائي الجميلة مضت تباعًا، الواحدة تلو الأخرى، وبلا رجعة، وإن كنت مازلت صابرة مترقبة عودتها، إلا أنه يبدو لي أن حتى الصبر مل، ولاذ مني بالفرار!!

ربما كانت لي مفاجأة، لكنها ما كانت صدمة، عندما التقيت بها صباح اليوم.. هناك بسطح البناية.. بينما صعدت أنا لأصلح وصلة الهاتف التي قُطعت بسبب سوء الأحوال الجوية، كانت هي سعادتها غامرة، وبنشاط مثير للريبة تشرف على بعض العمال أثناء ترميم أبواب ونوافذ تلك الشقة المهجورة بأعلى البناية.

هي (هنادي) حارسة العقار التي نزحت مع زوجها من الريف منذ أكثر من عشرين عامًا.

وبعد أن توفي زوجها منذ عشر سنوات تولت هي كل مهام حراسة العقار، خمسينية العمر، سمراء بلون طين صعيد مصر، ذات عيون عسلية ضيقة،

وكأنها شُقت في حجر، تنساب ثرثرتها التي لا يُفهم أغلبها مع بعض اللعاب المتناثر من بين شفتين غليظتين داكنتين، لها صوت رنان مصحوب بلكنة ريفية أصيلة منفرة.

لها جسد نحيل يفتقر إلى أبسط مؤشرات الأنوثة، داخل جلبابها الأسود اللون الذي تختلط فيه رائحة العرق مع التراب.. بالقدر الذي يجبرك على ترك مسافة لا تقل عن مترين بينك و بينه.

بلهجة حادة وجهت لها سؤالي:

ـ "ما هذه الجلبة؟ وماذا تفعلون هنا؟"

بتردد وخبث ردت (هنادي):

ـ "إنها أوامر أصحاب البناية يا هانم، يبدو أنهم وجدوا مستأجراً لتلك الشقة، فقد طلبوا مني الإشراف على ترميمها"

ـ "غريبة.. نعلم جميعًا أن تلك الشقة وضعها القانوني غير سليم، وهي محور مشاكل لعدة أطراف، ومنذ سنوات"

قلتها بتهكم، وانصرفت للبحث عن وصلة هاتفي المقطوعة.. نعم.. لكنهم وعلى ما يبدو توصلوا أخيراً لحل.. كان هذا هو ردها الذي تجاهلته، لعدم تصديقه، فقد فاحت من كلماتها تلك رائحة الكذب والتوتر.

بسرعة انتهيت من مهمتي، وعدت لشقتي، ليعاودني ومن جديد الشرود، والتفكير في أمره، فقد كان حديثه ليلة الأمس يحمل نبرة جديدة وغريبة!

فربما لم تكن فكرة زواجه من زوجة ثانية بالجديدة أو بالمفزعة، فمنذ مدة ونحن نبحث عن فتاة تتقبل وضع الزوجة الثانية، وتعوضه عن عجزي في القيام بواجباتي الزوجية بالشكل الذي يرضيه.

لكنه وخلال حديثه بالأمس أشار بمنتهى الفخر إلى كونه تعرف على من تقبل بالقيام بهذا الدور، بل وأيضًا هي غير متطلبة، وفي مقابل الزواج منه هي على أتم الاستعداد للتنازل عن كافة حقوقها المادية والمعنوية!!
ترى من تلك التي تقبل بهكذا وضع!؟ وعلى أي مستوى اجتماعي هي!؟
و هل حقًا هي على استعداد للقبول به كزوج لمدة ساعة أثناء النهار هي وقت إرضائه جنسيًا دون التزام منه بأي مقابل!؟ لا أدري! لعله كذلك!
فكم استنزفني بنزواته ورغباته عبر سنوات زواجنا، حتى أنهكت جسديًا وفكريًا.
لا أتذكر بالتحديد متى فقدت علاقتنا مشاعر الغيرة، أو كيف تراكم بيننا جليد اللامبالاة، حتى تقطعت كل أواصر الحب، لكني أتذكر جيدًا ذاك الدرس القاس الذي لقنني إياه عند زواجه من تلك الأجنبية، فمازالت مرارة التجربة تسكن حلقي كلما راودتني الذكرى.
أتذكر كيف همت بالطرقات أفتش عن وجهه بوجوه المارة، علني أراها معه، فألتمس له العذر عن خيانة عشرتي، وخذلان ودي.
أتذكر قسوة الصراع الذي دار بين عقلي الذي تمنى استيعاب الموقف، وبين نار غيرة قلبي التي أبَتْ الرضوخ والانصياع للوضع الذي ما ترك مني سوى محض حطام.
أتذكر تعنت أهلي، وتهديداتهم برفض احتوائي إن يومًا حملت لقب مطلقة.. "تضيق الحظيرة بالنعجة الغريبة".. هكذا قال أخي عندما لجأت إليه.. صَدَقَ، فمن ذا الذي يستطيع أن يضيف إلى أعباء حياته عبء أخته المطلقة وأبنائها في تلك الأيام الصعبة!؟
ربما لم تكن تلك التجربة له سوى نزوة، ما استمرت لغير بضع شهور، لكن آثار جراحها أدمت روحي أنا لسنوات، لكن وهل يضير الشاة سلخها بعد

ذبحها!؟ كلا! البتة! وها أنا ذا اليوم في انتظار نزوته الجديدة بكل ثبات، أو هكذا على ما يبدو!

أمارس حياتي بكل حيوية و إيجابية، و حالًا سأجري مكالمة هاتفية مع جارتي، كي نتسلى قليلًا، ونتجاذب أطراف الحديث كعادتنا.

آه! تبًا! يا لكِ من وصلة هاتف بائسة، مجددًا مفصولة!؟

يبدو أنه حتى سلك الهاتف إن قُطع مرة لا يعود أبدًا كسابق عهده.

الآن أصعد لإصلاحه، لكن هذه المرة سأحمل معي شريطًا لاصقًا قويًا، حتى أتفادى انقطاعه مرة أخرى.

الدرج هادئ.. يبدو لي أن عمال الترميم قد رحلوا.. هكذا أفضل.

فوق سطح البناية لم تكن لي بالمفاجأة، ولكنها كانت صدمة!

هو و(هنادي)!؟ (هنادي)!؟ إلى أي حضيض يمكن أن تهوي بالمرء شهواته ونزواته!؟ وما عواقب نزوة كـ(هنادي) على أولادنا، ووضعنا الاجتماعي!؟ وترى كم من الأشياء عليها أن تموت بداخلي حتى أواصل حياتي معك!؟



قصة قصيرة

محمد نبيل

ولدت في إحدى ليالي الشتاء الباردة.. بقلم شاب في منتصف العشرينيات من عمره.. كان أول ما رأته عيناها هي عيناه وهو ينظر إليها بإعجاب.. أرادت أن تبادله نفس النظرة، ولم تستطع.. قام الشاب مهللًا، واختفى عن نظرها للحظات.. وعاد ومعه فتاة تشبهه تمامًا مع بعض الفروق القليلة.. أشار للفتاة عليها، وقال:

ـ "انظري يا أختاه.. هذه هي آخر كتاباتي.. انظري كم هي جميلة.. هي أجمل من كل ما كتبت من قبل"

شعرت هنا ببعض الضيق.. ففيما يبدو أنها ليست الأولى بحياته.. ولكن سرعان ما تغلبت سعادتها على هذا الضيق.. ألم يصفها الآن بأنها أجمل منهن جميعًا!؟ كان هذا يكفي تمامًا بالنسبة لها.

عند وصولها إلى هذه النقطة من التفكير كانت الفتاة (الأخت) قد انتهت من النظر إليها، ومطالعة كل سطورها وتفاصيلها، وقالت:

ـ "ما أجملها من قصة! هي أجمل ما كتبت على الإطلاق يا أخي العزيز.. بل أستطيع أن أقول إنها أجمل قصة قصيرة قرأتها في حياتي"

وهنا شعرت القصة مجددًا بالسعادة.. فها هي أخت حبيبها تشيد هي الأخرى بها، وتقول أنها أجمل قصة قصيرة قرأتها في حياتها. لم ينتظر الشاب طويلًا، وخطف الأوراق التي كتبها عليها، ووضعها بحرص في حقيبته.. ثم أغلق عليها الحقيبة، فوجدت نفسها تغرق في ظلام دامس..

ولم تكد تنعس، وتغفو عيناها قليلًا حتى عم المكان ضوء شديد.. نظرت فوجدت شمسًا قوية، ويحجب حبيبها أشعتها عنها قليلًا ، وهو يمسك بها، ويخرجها وسط جمع حافل من الشباب والبنات في نفس عمره.. أمسك بها بحنان.. وكان كل من حوله ينظر له مترقبًا.. وبدأ يسرد سطورها عليهم بصوت يملؤه الفخر.. ورأت القصة علامات الإعجاب الصادق على وجوه من حوله.. حتى فرغ من قراءتها، فهتفت إحدى البنات:

ـ "رائعة.. يجب أن تسعى لأن تنشرها في أكبر الصحف.. فلو نشرت ستكون من أحسن أدباء هذا الجيل.. أنت موهوب جدًا بالنسبة لسنك"

وأيدها من حولها بعبارات مشابهة، أو بإيماءات تدل على موافقتهم جميعًا على هذا الرأي.. وسرعان ما وجدت القصة يد حبيبها تلتف على وسطها بحنان، لتضعها مجددًا في الحقيبة.. وتغرق من جديد في الظلام.. الذي تشعر فيه بالأمان، وبأنه المكان الذي يأمن عليها حبيبها فيه.. وبعد وقت قليل فُتحت الحقيبة، ووجدت يد حبيبها تخرجها من جديد.. تأملت المكان التي وجدت نفسها فيه.. إنه فيما يبدو مكتب لشخص هام، مؤثث بشكل بالغ الفخامة، وجدت في نهاية الحجرة بابًا كبيرًا، وبجانبه لوحة معدنية باللون الذهبي مكتوب عليها بخطوط سوداء.. "رئيس التحرير".. عادت لتنظر إلى بقية الحجرة، فوجدت حبيبها يضعها على مكتب خشبي أنيق مزين ببعض الورود، وعليه الكثير من الأوراق، وجهاز غريب عرفت فيما بعد بأن اسمه (الكومبيوتر)، وعلى المكتب وضعت لوحة معدنية صغيرة كُتب عليها.. "السكرتير".. أمسكها حبيبها مجددًا لتتناولها يد رجل في منتصف الأربعينات، ذو شارب غليظ، ونظارة طبية، يزين رأسه بعض الشعيرات البيضاء التي تظهر بوضوح وسط شعره الأسود الكثيف.

أمسك بها الرجل، طالعها بنظرات غير مكترثة، وقبل أن تكتمل الدقيقة الأولى وهي في يده وضعها مجددًا أمام حبيبها، وقال:

ـ "ممم.. أمامك الكثير لتصبح كاتبًا.. فمن تظن نفسك حتى تطلب مقابلة رئيس التحرير.. أظن أن ما كتبته هنا دون المستوى يا ولدي"

الشاب:

ـ "ولكنك لم تأخذ الوقت الكافي لقراءتها، فكيف حكمت عليها بكل هذه السرعة!؟"

الرجل (بعصبية):

ـ "أتعرف كم أمضيت في هذه الوظيفة يا فتى!؟ أنا أستطيع أن أحكم على أي شيء أقرؤه من أول سطر.. انتهت المقابلة!"

الشاب:

ـ "ولكن.."

الرجل (مقاطعًا):

ـ "قلت لك انتهت المقابلة!"

وهنا أمسك بها حبيبها في يده، وفي اليد الأخرى حقيبته، وخرج وقد ارتسم على وجهه تعبير لم تره عليه من قبل، وبمجرد خروجه من الحجرة سقطت من عينه قطرة من الدموع بللت السطر الثالث منها، وشعرت بألم شديد فور أن لمست قطرة الماء التي سقطت من عينيه أوراقها، ولكنها كانت على استعداد لتحمل المزيد في سبيل حبيبها.. أخذ الشاب طويلًا ينظر إلى السطر الأول من لحظة خروجه من المكتب حتى وصوله إلى الشارع، وهو يتسأل:

ـ "ما الخطأ في السطر الأول؟ ما الذي جعل هذا الرجل يحكم على قصتي بأنها دون المستوى من السطر الأول!!؟"

شعرت القصة بمزيج من الغضب والحزن، فكيف يصفها هذا الرجل بأنها دون المستوى!؟ ثم ما هو المستوى الذي يقصده؟ وكيف تجد حبيبها حزينًا هكذا، ولا تستطيع أن تخفف عنه!؟ فجأة وجدت حبيبها يُدخلها الحقيبة من جديد، وبعد قليل أخرجها في مكتب مشابه لما سبقه، وكان الرد كذلك مشابه لما سبق.. لم ييأس الشاب، ووضعها من جديد في الحقيبة، وأخرجها في مكتب آخر، وآخر، وآخر.. ليجد نفس الرد.. تكرر الموضوع كثيراَ، مع اختلاف سبب الرفض، ومع اختلاف المكاتب.

حتى وجدت حبيبها يخرجها في مكتب أكبر من كل المكاتب السابقة.. أمام رجل في الستينات من عمره، يجلس خلف مكتب كبير، وضعت عليه لافتة كبيرة مكتوب عليها.. "رئيس التحرير".. واسم لشخص سمعت به من قبل، ولكن لا تعرف أين.. أبيض الشعر.. يدخن السيجار، وينفث دخانه في وجهها.. تحملت كل ذلك، وتناسته تمامًا عندما انتهى الرجل من قراءتها قائلًا:

ـ "رائعة.. قصة رائعة يا بني.. سآخذها.. وستجدها في العدد القادم من الجريدة.. والمفاجأة.. أنك ستجدها على الصفحة الأولى"

رأت حبيبها مبتسمًا كما لم تراه من قبل، وهتف:

ـ " أأنت جاد يا سيدي فيما تقول!!؟"

الرجل:

ـ "وهل تعرف عني غير الجدية!؟ ولكن.. هناك شيء بسيط يجب أن تعلمه"

الشاب:

ـ "ما هو يا سيدي؟"

الرجل:

ـ "ستنزل هذه القصة في الصفحة الأولى باسمي أنا.. فأنت بعد لم تزل صغيراَ، ولا يعرفك أحدًا.. وسأعطيك في المقابل مبلغًا ماليَا (محترمًا).. وستكتب لي من جديد، ولو أعجبتني كتاباتك سأخذها أيضًا"

الشاب (مصدومًا):

ـ "واسمي!؟"

الرجل:

ـ "ما اسمك؟ اسمك لا يعرفه أحد يا فتى.. من تظنه سيقرأ قصة لشاب مغمور لا يعرفه أحد!؟ انتظر قليلًا حتى أصنع منك شيئًا، ثم بعد ذلك حدثني عن اسمك"

الشاب:

ـ "آسف يا سيدي.. عقلي ليس للبيع!"

أخذها حبيبها مجددًا داخل حقيبته، ولم تخرج إلا في نفس المكان الذي ولدت فيها.. أخذ حبيبها يتأملها طويلًا بوجه عابس، ثم فتح أحد أدراج مكتبه، ووضعها بالداخل.. في ظلام دامس، نفس الظلام المعتاد، ولكنها شعرت بإحساس غريب، لم تشعر بالأمان كما شعرت دومًا.

مر وقت طويل وهي وحيدة في الداخل، لم تنسَ أبدًا آخر مرة رأت فيها حبيبها، ووجه عابس حزين، ودموعه تترقرق في عينيه.. أتكون هذه أخر مرة تراه فيها فعلًا!؟ ألن يعود إليها مجددًا.. ظلت تنتظر، وتنتظر، وتنتظر، حتى راحت في سبات عميق.

استيقظت القصة فجأة.. هناك حركة غريبة، الدرج يتحرك، شعاع النور يدخل لها مجددًا.. يد تمسك بها.. أهو حبيبها؟ لا.. ليس هذا هو ملمس يديه.. خرجت إلى النور، ووجدت سيدة غليظة الملامح تمسك بها بقسوة،

وتخرج من الحجرة إلى صالة متسعة، وهنا وجدت حبيبها، ولكنه قد تغير كثيراَ، أصبح أكبر بحوالي عشرين عامًا أو أكثر عما رأته أخر مرة.. الشعر الأبيض يعلو رأسه، كرش كبير متدلٍ أمامه، ويرتدي (فانلة بيضاء)، ويجلس على أريكة يشاهد التلفاز، ويأكل شيئًا في يده دون إكتراث لحبات الأكل التي تسقط، وتلون (فانيلته البيضاء)... فجأة سمعت صوتًا غليظًا ينتشلها من تأملاتها.. إنه صوت السيدة التي تمسكها، وهي تقول:

ـ "لقد وجدت هذا الورق القديم ملقى في إحدى الأدراج.. أأمسح به الزجاج يا سيدي؟"

لم ينظر إليها حبيبها، وأجاب دون اكتراث:

ـ "نعم.. نعم.. افعلي ذلك"

لم يكد ينتهي حبيبها من جملته حتى وجدت القصة نفسها تُدفع مع بعض الأوراق الأخرى باتجاه ما يشبه الطبق به ماء وصابون.. حاولت أن تستنجد بحبيبها، حاولت أن تصرخ، هل يكون هذا هو مصيرها!؟ تذكرت في تلك اللحظة كل لحظاتها مع حبيبها.. وقت أن ولدت على يده.. وقت أن نظر إليها بحب.. عندما أحضر (أخته) لتشاهدها.. عندما أراها أول مرة لأصدقائه.. لحظة سقوط دمعة من عينيه على سطرها الثالث، و.... عندما وضعها في الدرج!!

انتشلها من أفكارها صوت حبيبها، وهو يهتف في السيدة:

ـ "انتظري!!"

هل نطق حبيبها أخيراَ لينقذها من المصير المجهول بكلمة؟ أكمل قائلًا:

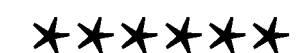
ـ "الورق الذي ستستخدميه في المسح ارميه في صندوق القمامة الخارجي حتى لا يخرج عنه رائحة"

السيدة:

ـ "كما تأمر يا سيدي"

وأدار وجهه من جديد إلى التلفاز.. أهذا كل شيء!؟ ألن تقول للسيدة شيئًا بخصوصي!!؟

أمسكت بها السيدة بعنف، واتجهت بها للطبق الممتلئ بالماء.. وكان آخر ما رأته حبيبها، وهو يتابع التلفاز ضاحكًا، وارتطم جسدها بالماء الساخن، وأخذت تغرق، وتغرق.. حتى غرقت في ظلام دامس، و.... ماتت للأبد.



يوميات مدعوك في منبوذيا العظمى

تامر الحكيم

منبوذيا العظمى ليست مجرد بلدة على الخريطة، ولكنها موجوده داخل كل شخص يشعر بالقهر في بلده، وإنها ليست بلدته، أو بمعنى أصح هي داخل كل شخص ليس (مدعوكًا)، راضٍ بحاله، ومقتنع بأنه ليس في الإمكان أفضل مما كان، لأنه أكيد هناك الأفضل مما هو موجود.

فالعيب ليس في حكام منبوذيا فقط، ولكن العيب الأكبر في من يقبل بالظلم والقهر.

كل ما نتمناه هو أن تختفي منبوذيا من داخلنا قبل أن تختفي من على الخريطة.

"اقهر منبوذيا داخلك تجد أن بلادك أجمل بلاد الدنيا"

يوميات مدعوك من منبوذيا العظمى

(الحاكم)

ذهبت إلى حاكمنا أشكو إليه صعوبة الحال، و قلة الأموال، وكثرة المشاكل، وقلة الاحترام والأخلاق، وضيق سبل الحياة الأساسية.

فانتفض متأثرًا، وأتاني وعيناه تفيضان بالدمع، ثم احتضنني قائلًا:

ـ "كيف تقول ذلك؟ ألا تعلم أنكم في العين؟ وأنك مني في مكانة القلب من الجسد؟"

فارتجفت متأثرًا من فرط حساسيته، ولما هدأ سألته:

ـ "وكيف السبيل للخروج من الأزمة؟"

فأجابني ولا يزال التأثر واضحًا في نبرات صوته:

ـ "وهل تعتقد أني لا أفكر في حلول لكل الأزمات؟ فأنا أرى أنه للخروج من الأزمه لا بد أن نبتعد عن الأزمات، وأننا يجب علينا التفكير في حلول لكل ما يلزمنا من حلول، لحل الأزمات التي لابد أننا سنواجهها، ويجب علينا أيضًا أن نعمل على ربط مشاكلنا بكل مشاكل الدولة، وأن نرى ما هي التوجهات اللازمة لحلها..."

ثم نهض معتذرًا لكثرة مشاغله، واحتضنني مره ثانيه هامسًا:

ـ "لا تتردد في أن تزورني"

فخرجت فرحًا رافعًا عنقي للسماء، و شاكرًا ربي كثيرًا أنه أعطانا ذلك العبقري كحاكم للبلاد، ودعوت في سري أن يطيل عمره، ويطيل حكمه.

(الاقتصاد)

اليوم من أجمل أيام منبوذيا، فلقد قرر ولي عهدنا الغالي أن يتزوج أخيرًا، واليوم هو اليوم الموعود.

انتشر الخبر في كل منبوذيا، من أقصاها لأقصاها، وانهالت الهدايا والمباركات على والينا المعظم -أطال الله عمره-

وهذه من المرات القليلة التي نرى فيها زفافًا بهذا الحجم من الفخامة والبذخ، فإنهم يقدرون عدد المذبوحات أكثر من ألفي رأس كاملة، وستوزع بالكامل على من يحضر..

وكل هذه المذبوحات كانت هدايا من تجار المواشي للوالي المبارك، وعلمنا أيضًا أن (صباح الشحرورة) هي من ستحيي هذه الليلة بأجمل أغانيها.

وكانت ليلة من ألف ليلة وليلة، حضرها الكثير من الأمراء والملوك، وكبار الدولة والدول المجاورة. وسهرنا فيها حتى الصباح، ورأينا الكثير من الأعاجيب، كالسحرة والمهرجين، وألقى الشعراء أجمل القصائد في حب الوالي، وحب ولي العهد. وخرج الجميع فرحين في مرة من المرات القليلة التي ينام فيها الناس فرحين مرضيين بهذا الشكل.

ومرت عدة أيام، ولا زلنا في نشوة من جمال ليلة زفاف أميرنا، ولا زال الناس يحدثون عما شاهدوه في تلك الليلة.

وبعد حوالي شهر بدأ الناس يتحدثون عن ارتفاع أسعار اللحوم لما يقارب الضعف، وبعدها زادت أسعار كل شيء، كالخضراوات والطيور.. فمثلًا.. إن سعر رطل اللحمة كان ثلاثة دنانير، وأصبح خمسة دنانير ونصف.. ولم نفهم السبب وراء ذلك. وذهبت إلى كبير التجار، حتى أستفسر عن سبب هذه الزيادة،

وبعد استقبال حافل كالعادة أجابني بأن حفلة ولي العهد قد كلفت التجار الكثير من الأموال والذبائح، ويجب أن يعوضوا هذه الخسائر، وإن هذه الزيادة ستكون لفترة بسيطة، ثم يرجع كل شيء إلى طبيعته، و ألا أقلق، وأن أطَمّئِن الناس.

وبالفعل تحدثت مع الناس في الأسواق والشوارع عن أن هذه الزيادة ليست إلا مرحلة بسيطة، وستمر بسرعة، وأنه يجب علينا أن نقف بجوار التجار، لتمر هذه الفترة العصيبة، ولكن البعض أسرّ إلي بأن هذا الأمر قد تم باتفاق بين الحاكم والتجار لزيادة الأسعار، وطبعًا لم أصدق هذه الشائعات المغرضة التي تطول حاكمنا بالسوء.

وامتثل الناس للأمر، وبدأ الناس يشترون مرة ثانية بالزيادة، وهم يدعون أن تمر هذه المرحلة بسرعة، حتى لا تثقل عليهم أمر دنياهم أكثر مما هي ثقيلة.

وبالفعل بعد فترة ثلاثة أشهر انخفضت الأسعار، وأوفوا بوعدهم إلي.. فالآن نشتري رطل اللحمة بأربعة دنانير ونصف، وهكذا باقي السلع، وهو سعر معقول جدًا بالنسبة لخمسة دنانير ونصف، وهو ما يدل على مراعاة أهل الحكم والتجار لحالنا وحال الناس.

والعجيب أن تجد من لا تعجبه الأسعار الجديدة، ويشتكون لي في السر، فعجباً لهؤلاء الناس! وأي عجب!

(الصحة)

ركبت حماري ذاهباً لمسئول الصحة لأخبره عن مأساة أحد أصدقائي، وكيف مات ابنه الوحيد في إحدى دور الصحة والرعاية. أذن لي بالدخول، مستقبلًا إياي بالترحاب المعتاد منه وأخبرني كم يحبني، ويحب لقائي، لأنني صوت الناس، وأجبته بأن فضل معاليه وكرمه هو ما يدفعني دومًا للحضور إليه، وحلوله الخلاقة لكل مشاكل الشعب تجعلني على ثقة دومًا بأنني سأجد ما أتيت من أجله، وبعدها سألني:

- "ما هي آخر أخبارك يا (مدعوك)؟ وبالمناسبة.. في كل مرة أنسى أن أسألك عن سر اسمك الغريب"

فضحكت، وأجبته بأن والدي كان جلاياً للنحاس محباً لمهنته، وسماني تيمنًا بالنحاس بعد دعكه وجليه، فتستطيع أن ترى بريقه ولمعانه.

ـ "أما عن آخر أخباري فهي ليست جيدة، فلقد مات الابن الوحيد لصديقي في دار الصحة والرعاية التابعة لسيادتكم، ومنذ ذلك الوقت وصديقي في حالة من الانهيار"

لمحت في عينيه التأثر الواضح من كلامي، ووعدني بأنه يملك الحل الأكيد لهذه المشكلة، ولكن يجب عليه التشاور مع حاكمنا المبجل، وأصل الحكمة والعبقرية في بلدنا، ولكنه أخبرني بأنه سيكون مفاجأة أن تحل المشكلة من أساسها، وطبعًا لم أكن في حاجة لأن يخبرني بهذا، فأنا أعلم بأن القرار سيكون مفاجأة بالنسبة لأمثالي، وكيف أصل لعبقرية حاكمنا وحكمته، أو حُسن اتخاذ المسئول للقرارات. انتظرت بفارغ الصبر خروج المنادين في الميادين والشوارع لإعلان الحل المنتظر، وطال انتظاري حتى مضى قرابة الشهر، وبعدها جاء الفرج، والحل الكافي الوافي للمشكلة، فقد أصدر الحاكم -زاده الله حكمة- أمراً بإعدام كل أب مهمل يموت ولده دون رعاية، حتى يصبحوا عبرة لكل من تُسوِّل له نفسه في إهمال أولاده. يا إلهي! ألم أخبركم بأنه عبقري!؟ كيف لي أن أتوصل لهذا الحل!؟ أو حتى أن أتخيله!؟ وفعلًا من بعدها لم نسمع عن أولاد يموتون في دور الصحة، ولكن الغريب أنه كثرت وفيات الأطفال بسبب الحوادث، ولكن هذا أمر الله وقضاؤه، ولا رادَّ لقضائه، فنحن في النهاية مؤمنون. دمت حاكمنا حالًا لمشاكلنا، ودومًا على قدر المسئولية الملقاة على عاتقك، وأطال الله عمره، وأطال فترة حكمه.

(الحرية)

أتاني اليوم صديقي (أحمد البكري) تاجر الحبوب من بلدته البعيدة عن بلدتنا، وقد اعتدنا تبادل الزيارات منذ فترة ليست بالقصيرة على الرغم من اختلاف أفكارنا بشدة، حيث أنه دومًا معترض على ما يسميه قهر الحاكم

في بلادنا أو في بلدته.. لا أعلم كيف لحاكم بمثل روعة حاكمنا أن يقال عليه ظالم!؟

ولكني في أواخر أيامنا أصبحت لا أحب هذه الزيارات، ولكن أدب أخلاقي، وعلمي بأنه يأتي لينهي أعماله المعلقة في بلدتنا، ولا يوجد له مكان آخر يذهب إليه منعاني من الحديث معه، أو حتى الإشارة لهذا الأمر، ولكني فعلًا أصبحت أضجر من حديثه عن بعض الأشياء التي لا أعلم سبب ضيقه منها، ولا من حكامنا، ولكن هذه المرة عزمت على أني سأخبره، وليحدث ما يحدث، فلقد فاض الكيل، ولن أسمح لأحد أن يسب حاكمنا العظيم. وفعلًا في أول ليلة بعد وصوله جلست أتحاور معه، لا أعلم كيف أبدأ حديثي، وأحاول أن أفتح أي موضوع يوصلني لهدفي، وأشرت إلى قرار حاكمنا الأخير الخاص بإعدام كل من يموت ولده بسبب إهماله، وكنت أتحدث بكل فخر واعتزاز بعبقرية حاكمنا، وفوجئت به ينظر إلي كأنني مجنون، وقام مفزوعًا صائحًا في وجهي:

ـ "ماذا!!؟؟ وكيف ذلك!؟؟ وكيف يتخذ مثل هذا القرار!؟؟"

فأخبرته بقصة صديقي، وكيف مات ولده، وكيف وضع حاكمنا الحل الشافي لمثل هذه المشكلة، فهاج، وبدأ في سبي لأول مرة منذ تعارفنا، فوجدته يتهمني بالغباء لفرحي بمثل هذا القرار، ولأني كنت السبب فيه... فلم أتحمل قسوة كلامه، ومسبته لي وللحاكم، وأخبرته بأن يبحث عن مكان آخر لإقامته من الغد، وألا يزورني بعد ذلك، وأن ينسى صداقتنا، تركته، وخرجت للشارع قاصدًا الحانة لمقابلة بعض الأصدقاء، واحتساء بعض المشروبات.

وفي الحانة قابلت صديقي الشرطي الذي سألني عن أحوالي، وعن سبب تجهمي، فأجبته بالسبب، وكيف أني أشعر بالضيق من أسلوب وتصرفات

صديقي، فطلب مني أن أحكي له عما حدث، حتى أشعر بالراحة، وأن أخرج همي في الكلام.
ولما انتهيت من الحكاية وجدته يضحك بشدة، حتى أن كرشه قد بدأ في الاهتزاز، وأخبرني بأنني شخص مخلص لبلاده، وحاكمه. وصراحة لم أفهم ما علاقة حديثي بالإخلاص، فأنا أحكي له عن قلة أدب صديقي فقط، ثم تحول وجهه إلى الجدية، ونصحني بأن أبقى في الحانة، وأن أشرب وآكل ما يحلو لي على حسابه الخاص، وألا أذهب إلى البيت إلا بعد أن أتأكد من نوم صديقي، حتى لا يزيد ضيقي إذا ما قابلته مرة ثانية.

وبالفعل غادرت المكان في وقت متأخر، ولما وصلت البيت وجدته ساكنًا، فحمدت الله أنه نام، وغلبني النوم، وفي الصباح قمت بتجهيز الإفطار، وذهبت لأوقظ صديقي، فوجدت سريره مرتبًا، وبحثت عنه، ولم أجده في البيت كله، فغضبت جدًا، فكيف يخرج من دون أن يستأذن، أو حتى أن يخبرني بذلك!؟ ولم يهتم حتى بالاعتذار عما بدر منه في الأمس. وشكرت فكرة صديقي الضابط، وأيقنت أنه يعلم كيف يتعامل مع هذه النوعيه جيدًا، ونويت أن أذهب إليه ليلًا لأشكره، ولكني انشغلت كثيراَ في أعمالي، ونسيت الموضوع بأكمله. وبعد مرور ثلاثة شهور ظهرت بعض الأمور التي تستدعي ذهابي لبلدة صديقي، وقررت أن أمر عليه لأعاتبه عما قال وفعل.
وبعد وصولي لبلدته، وإنهائي لبعض مهامي، رتبت كيف سأقيم، حتى لا أجعل هناك فرصة له لدعوتي للإقامة عنده.

وبعدها ذهبت إلى منزل صديقي، فوجدت والده الذي قابلني بلهفه، ودهشة كبيرة وغريبة في نفس الوقت، وبدأ يسألني عن أحوالي، وأحوال ابنه، وكيف انقطعت أخباره منذ كان عندي.

فأخبرته بأنه قد غادر بيتي بعدما حدثت بيننا تلك المشادة الكلامية، ومنذ تلك الليلة لم أره، ولم أسمع عنه بعدها، فسألني عن سبب تلك المشادة، وخصوصًا أنه يعلم أننا أصدقاء منذ زمن بعيد، فحكيت له عما حصل، وعن أسلوب كلام ولده، وعن مسبته لي، وكيف تفاديت مقابلته مرة ثانية تلك الليلة بناءَ على نصيحة صديقي الشرطي.

ـ "شرطي!؟ أي شرطي!؟ وماذا أخبرت ذلك الشرطي؟"

أجبته بأنني أخبرته كل ما حدث، وأخبرته حتى عن نصيحة ذلك الشرطي لي، وعندها وجدته ينهض فزعًا، وقام بسبي، وهو يردد بأنني قد أضعت ولده للأبد، وطردني من بيته شر طردة، وخرجت مذهولًا من تعامله معي، وعلمت من أين أتى ذلك الفتى بقلة أدبه، ولكن مع ذلك ظل هناك سؤال يلح على خاطري... أين ذهب صديقي؟؟

(السياسة)

ذهبت إلى الحانة لأقابل بعض الأصدقاء، وشرب العصير الطازج الذي يشتهر به خليل صاحب الحانة، وعندما دخلت عليه وجدته مهمومًا حزينًا على غير عادته المرحة والضاحكة دومًا، فعلمت أن هناك خطبًا جللًا، واقتربت منه محدثًا إياه بصوت أقرب إلى الهمس، خوفًا من أن أزيد ضيقه بإزعاج صوتي العالي مستفسرًا عما به؟ فأجابني:

- "ألم ترَ المبنى الجديد في آخر البلده؟" أجبته بالإيجاب، ولكني أخبرته أيضًا بأنني لا أعلم من صاحبه، ولا ماذا سيكون؟ فرد والحزن يقطر من كلماته بأنه سيصبح حانة أكبر من حانته، فضحكت، وأجبته:

- "لا تحزن.. أنت تعلم أن أهل البلدة اعتادوا على حانتك، وأنهم لن يجدوا من يصنع العصير اللذيذ الذي تصنعه..."

فنظر إلي، ورد:

- "ومن أخبرك بأنهم سيقدمون العصير فقط؟؟ إنهم سيقدمون أيضًا الخمور، وسيقوم بالخدمة بعض الفتيات السبايا، و سيكون هناك راقصات أيضًا"

فانتفضت منزعجًا، وأخبرته بأنها أكيد شائعة كاذبة، وأنه لا يمكن لحاكمنا التقي أن يوافق على هذا في بلدنا المحافظ.

- "كنت مثلك أظن أنها مجرد شائعة، ليروجوا للحانة الجديدة، ولكني تأكدت من رسول ابن الحاكم الذي أتاني اليوم ليأمرني بإغلاق الحانة، والذهاب للعمل هناك في الحانة الجديدة، وبدأ كلامه معي بتعديد مزايا الحانة، وكيف أن حانتي ستغلق مع الوقت من قلة المريدين عليها بعد رؤيتهم للحانة الجديدة، ولما رفضت العمل في مكان يبيع الخمور، ويروج له الفتيات والراقصات، أخبرني بأنها أوامر ابن الحاكم شخصيًا، وأنه من طلبني بالاسم، وعدم تنفيذ هذه الأوامر تجعلني معرضًا لغضبه، و حذرني من غضبه بشدة، ولقد أُسقط في يدي، فلم أعد أدري ماذا أفعل، هل أغضب ربي، وأرضى بالعمل!؟ أم أغضب ابن الحاكم وأعرض نفسي للسجن أو للنفي!؟ انصحني يا صديقي.. ماذا أفعل؟؟"

نظرت إليه وأنا في قمة غضبي، وصرخت في وجهه:

ـ "أنت كاذب، والأكيد أن أخبار الحانة الجديدة قد أصابتك بلوثة حتى تتهم ابن حاكمنا بهذه التهم البشعة.."

وتركته منصرفًا غاضبًا، وفكرت أن أخبر صديقي الشرطي عن هذا الكاذب، حتى يؤدبه، ولكي يسكت عن ترويج مثل هذه الشائعات، ولكن بعد تفكير مني اعتبرته مصدومًا وخائفًا على رزقه، وهذا أثر على تفكيره، وخرجت من عنده مقررًا ألا أذهب عنده مرة ثانية.

وبعد مرور شهرين أعلن عن افتتاح الحانة الجديدة، وتعمدت أن أذهب للافتتاح، لأرى بعيني كذب هذا الرجل، وبعدها أذهب إليه لأواجهه بما رأيت، وبعد دخولي الحانة رأيت العجب، فلقد كانت الفتيات تملأ المكان بالفعل، وكانت الخمور موجودة، والراقصات كنَّ يؤدين رقصاتهن كأننا في بلد ليست بلادنا.

وخرجت مسرعًا مستعيذًا بالله من شرور الناس، ولم أعلم ماذا أفعل، ووجدت قدمي تأخذني إلى بيت صديقي القاضي، لأسأله عن كيفية سماح الحاكم التقي بمثل هذه الحانة في بلدنا.

استقبلني القاضي مرحبًا، وسألني عن تجهمي، فأخبرته بالسبب وأنا أكاد أن أبكي من هول ما رأيت، وسألته عن حقيقة هذه الحانة، ومن مالكها الحقيقي، فسكت قليلًا، ولم يرد عليّ، فأعدت عليه السؤال مرة ثانية:

ـ "وكيف يوافق الحاكم على وجود مثل هذه الحانة في بلدتنا!؟ وما صلة ابنه بها؟؟"

فأجابني بأنه هناك الكثير من الأمور تجري في هذه البلدة لا يعلم عنها إلا القليل من الأشخاص، أو صفوة الصفوة -كما يطلقون على أنفسهم- ولما رأى عدم الفهم واضحًا في ملامحي مال علي ليوحي بأهمية ما سيقوله لي، وهامسًا قال أنه سيخبرني بسر خطير، ولا يجب أن يعلمه أحد من العامة،

وإلا سيطير الكثير من الرقاب، فأقسمت له على كتمان السر، والحفاظ عليه بحياتي ورقبتي لو لزم الأمر. قام من مكانه وتأكد من عدم وجود أحد قريب من مجلسنا، و بعدها بدأ يتحدث:

ـ "(مدعوك)! هناك الكثير من الأمور لا يعلمها حاكمنا بحكم سنه، وإن حاكمنا الفعلي هو ابنه ولي العهد، والكل يدينون له بالطاعة التامة، إما حبًا، أو طمعًا، أو خوفًا من بطشه، فهو لا يعرف الرحمة، ومن يعارضه فإن مصيره إما السجن، أو النفي من البلدة، أو النفي من الحياة ذاتها لو لزم الأمر، ومن ضمن هذه الأمور الحانة الجديدة، وكانت أوامره ألا يعلم والده عن هذه الحانه أي شيء"

فنظرت إليه مذهولًا:

ـ "أوَهناك في هذه البلدة ما يجهله حاكمنا!!؟ لا أصدق هذا!"

فابتسم ابتسامه جانبية، ورد:

ـ "يبدو أنك سليم النية، ولا تعلم أي شيء عن دهاليز الحكم... إن ولي العهد أقوى بكثير من الحاكم، ولا يستطيع أحد أن يخالفه كما أخبرتك من قبل... والآن أرجوك ألا تذكر أي شيء مما تحدثنا فيه إلى أي شخص، ولا حتى تحدث به نفسك، ولقد أخبرتك فقط لأني أعلم كم تحب حاكمنا، كما أحبه، ولا أحب أن تظن فيه ظن السوء في دينه أو خلقه"

أخبرته أنني متفهم جدًا، ووعدته بالحفاظ على السر، واستأذنت في الخروج، وبعد خروجي أخذت أفكر في ما سمعت، وماذا سيكون حال بلدتنا بعد تولي ولي العهد الحكم بعد والده؟

ومرت مدة، ونسيت ما سمعت من القاضي، وإن كنت أسمع بين كل فترة وأخرى عن أخبار تلك الحانة، وتأثيرها المدمر على أهل بلدي، وخصوصًا

الشباب، وبعدها سمعت عن بعض التهديدات من بعض الأشخاص الذين سموا بالمتطرفين بأنهم سيحرقون تلك الحانة، وسيهدمونها لو لم تغلق، ولم يكترث أحد بتلك التهديدات، لتأكدهم من خوف الناس من الحاكم وجهاز الشرطة، ولكن بيني وبين نفسي تمنيت أن ينفذوا وعيدهم، ويحرقوها عن بكرة أبيها، بل تمنيت لو كان لدي الشجاعة، فأحرقها بنفسي انتصارًا لله، ودفاعًا عن شريعتنا، وشبابنا، وأسررت بذلك لبعض أصدقائي المقربين، وبعد مرور ما يقرب من الشهر أصبحنا على خبر حرق الحانة، ونحمد الله أنها كانت خاوية من الناس، فلم يصب أحد بأذى، وإن أتى الحريق على كل ما فيها. وانتشرت الشرطة في البلدة، وقبضت على الكثير ممن شكوا في اضطلاعهم بالحريق، وتعجبت لوجود بعض الأشخاص الذين أعلم أنهم لا يمكن أن يكون لهم أي دور في هذا الحريق، ومنهم بعض التجار الشباب الذين كانت تجارتهم بدأت في الازدهار، وبعض القيادات الشابة من الجيش والشرطة المتنبأ لهم بمستقبل كبير، حتى فوجئت بصديقي الضابط يأتيني بعدها هو والكثير من الجنود، ويقبض علي، ويجرني إلى المخفر، وهو يسبني بأبشع الألفاظ التي لم أسمعها في حياتي تقال عني، أو عن والدتي، وفي ذهول سألته عما يحدث، فنظر إلي، وأخبرني بأنهم علموا أنني أحد المخططين للحريق، وأنني الرأس المدبرة لكل ما حدث.

أقسمت له مئات المرات بأنني لا أعلم عما يتحدث، وأني لا ذنب لي فيما حدث، ولا أعلم أي شيء عنه أو أي شخص له صلة به.. فضربني ضربة شديدة على رأسي، وأمرني بالسكوت، والكف عن الكذب، لأنه مل سماع صوتي، فبكيت في صمت، وتساءلت عن هذه المصيبة التي ألمت بي، وكيف السبيل للخروج منها، وعلمت أن هناك محاكمة عاجلة ستقام بعد عدة أيام، للنظر في أمري، ومعي الكثير من الأشخاص المتهمين بهذا الأمر.

مرت أيام ما قبل المحاكمة بطيئة كئيبة، ورأيت فيها من المآسي، وسمعت فيها من الأهوال ما يكفي ليجعلني أعيش في رعب طوال حياتي، حتى لو خرجت من هذا الكابوس سالمًا.
وجاء اليوم المنتظر، وأخذونا إلى المحكمة، وكان معي أربعة أشخاص، وكنا نحن الخمسة من يصنفونا بأننا قادة التنظيم، وكبار المحرضين. وطوال الطريق كنت أدعو الله أن يكون القاضي المسئول رحيمًا بنا، وأن يكون منصفًا محبَا للحق، وعند وصولنا للمحكمة وجدنا الكثير من الناس والمعارف الذين أتوا ليعلموا ما الذي سيحدث لنا، وماذا سيكون مصيرنا، ووصل القاضي، ويالجمال حظي! لقد كان كبير القضاة بنفسه هو من سيحكم في هذه القضية، وفرحت جدًا، فكما تعلمون أنه صديقي المقرب، ويعلم أخلاقي جيدًا، وشكرت الله في سري كثيراَ على هذا.

وقبل جلوسه نظر إلى المجلس، وأيضا نظر إلينا، ثم ركز على وجهي، وهو ينظر إلي نظرة لم أفهمها، ونادى حاجب المحكمة علينا، لنمثل بين يدي القاضي، وجاء أيضًا الشرطي المسئول عن هذه القضية، وبدأ القاضي بالكلام.
ـ "أرجو التزام الهدوء، فأنا لا أريد سماع أي صوت إلا أصوات أصحاب القضية، ولابد أن تعلموا أن هذه القضية على قمة الأهميه بالنسبة لحاكمنا الغالي شخصياَ، ولذا سأطرد أي شخص يتجاوز الحدود من الحضور، أو سأحبسه معهم... فليبدأ الشرطي بالكلام"
ـ "سيدي القاضي.. أنت تعلم أن بلادنا محاطة بالأعداء في الخارج، وهؤلاء الأعداء يهمهم في المقام الأول أن يكسروا شوكتنا، وأن يزعزعوا أمننا واستقرارنا، وهيبتنا أمام العامة، وللأسف استعانوا ببعض أولاد بلدنا في

هذه المؤامرة، وأغروهم بالكثير من الأموال، والتيسيرات الأخرى، كمساعدتهم في ازدهار تجارتهم، أو وعدهم بتقلد المناصب الكبيرة في الشرطة والجيش"

ـ "و ما دليلك على هذا الكلام؟"

ـ "لقد وجدنا بعض المراسلات التي تثبت كلامي موجودة في بيوت المتهمين، وأيضا وجدنا الأموال التي أخذوها من الأعداء، وقبضنا على بعض الأشخاص الذين كانوا حلقة الوصل بين الأعداء وبينهم"

وهنا انتفضت واقفًا، وأنا أصرخ:

ـ "سيدي القاضي! أنا لا أعلم عما يتحدث، ولا يوجد بيني وبين أي أحد أية مراسلات، ولا أملك إلا القليل من الأموال التي اكتسبها من تجارتي الصغيرة، وأنت تعلم حالي بنفسك"

فالتفت الي الشرطي سائلًا إياي:

ـ "أتنكر أنك تحدثت لبعض الأشخاص عن تمنيك حرق الحانة؟ وتمنيت أن تقوم بهذا بنفسك؟"

ـ "نعم، ولكن.."

قاطعني، وأكمل كلامه:

ـ "أوَ هل تنكر معرفتك بـ(أحمد الوكيل)؟"

ـ "لا أنكر طبعًا، فهو صديقي منذ زمن"

ـ "أوَ هل تنكر أنه كان يقيم في بيتك كلما زار البلد؟"

ـ "لا أنكر هذا أيضًا، ولكن ما صلة (أحمد الوكيل) بما نتحدث عنه هنا؟"

ـ "سيدي القاضي... ها هو قد اعترف بأنه على صلة بواحد من كبار الجواسيس، والذي حكمت عليه بنفسك بالسجن مدى الحياة بعدما تأكدت من جرمه"

هنا لم تستطع قدمي أن تحملني، وسقطت على الأرض من هول المفاجأة، وعندها فقط علمت أين اختفى صديقي، وعلمت سبب غضب والد (أحمد) العارم، واتهامه لي بأنني قد أضعت ابنه للأبد. لم أستطع الرد على أي من هذه الاتهامات بعد صدمتي من تلك الأخبار، فأنا أعلم صديقي جيدًا، ولم يكن يومًا محبًا للعنف، ولا محرضًا عليه، وتأكدت من أنه قد أخذ ظلمًا بسبب كلامي عنه. وهنا أكمل الضابط حديثه قائلًا:

ـ "سيدي القاضي.. أرجو ألا تأخذك بهم رحمة ولا شفقة، فلقد باعو وطنهم للأعداء، وباعو ضمائرهم، بل وباعو دينهم وآخرتهم بالتحالف مع الأعداء ضد الإسلام والمسلمين، وخانوا كل العهود، ولن يردع من يأتي بعدهم إلا حكم سيادتكم الرادع القاطع"

ـ "إن أصعب ما في هذه المحاكمة هو أنه من بين المتهمين من كنت أعده صديقًا لي"، قالها وهو ينظر إلي بمنتهى الكراهية، "وللأسف قد خان هذه الصداقة، وهذا ليس بغريبًا على من يخون بلده بالكامل، ولقد كنت أعتبره بمثابة الأخ الأغلى لي، وكانت صدمتي عندما علمت أنه كان ينقل كل ما أقوله له من اسرار لأعداء البلد".

هتفت صارخًا:

ـ "أقسم بالله بأن هذا لم يحدث، ولا أعلم من الأساس عما يتكلم!"

ـ "اصمت أيها الخائن!"

صدمتني هذه العبارة كأنها سيف بتار أصابني في مقتل، وقطع كل ما كنت أملك من الأمل.

ـ "لقد اتخذت قراري، وحكمت بما أراه صحيحًا، وفي صالح ديننا وبلدنا وما يستحقونه بالفعل على خيانتهم لهما.. حكمت بأن يسجنوا مدى الحياة، لكي يكونوا عبرة، وعليهم أن يحمدوا ربهم أن الحريق لم يتسبب في قتل

أحد، وإلا كان القتل عقابهم، وبخصوص المتهم المدعو (مدعوك) لما أعلم من خطورته قررت أن يقضي مدة سجنه كلها في زنزانة منفردة، لا يرى فيها الشمس، ولا يتعامل مع أحد من البشر، ليكون عبرة لمن تسول له نفسه في خيانة الأمانة مع أصدقائه، ودينه، وبلده"

أول ليلة في السجن كانت غريبة جدًا، فلم أستطع استيعاب ما حدث، و لم أستطع التوقف عن التفكير في كلام القاضي الذي كنت أعده من أصدقائي المخلصين، وتذكرت كل كلامه، وتوقفت كثيراَ عند الحكم، فلقد أنهى حياتي بقذفي في هذه الحفرة القذرة لنهاية حياتي.

وعند شروق الشمس بدأت الحركة في الخارج، فسمعت الحراس يبدلون أدوارهم، ويتحدثون فيما بينهم عن وصولي المعتقل، وعن خطورتي التي يجب أن يحذروها، وأتاني الحارس المسئول عن حراسة زنزانتي مبتسماً بتشفِ، وأخذ يسبني بأقذع الألفاظ، كان أقلها أني خائن، وأني لست ابن أبي، وبكيت في صمت، ولم أستطع الرد، لمعرفتي بأنه يستطيع قتلي بمنتهى السهولة، ولن يهتم أحد، بل ومن الممكن أن يصبح بطلًا بقتلي.

وسمعته أيضًا يسب جاري في الزنزانة المجاورة، ولكني سمعت جاري يرد المسبة إليه، ويخبره بأنه ليس أكثر من جسد بلا عقل، ولا يملك إلا سلاحه، ولو تجرد منه فسيصبح كالجثة لا قيمة له، وتعجبت كثيراَ، ليس من كلامه، ولكن من صوته، فلقد عرفت صاحب الكلام، فلقد كان صديقي (أحمد الوكيل)، ونويت أن أتحدث إليه، ولكن بعد أن يهبط الليل، ويقبع الحراس في مجالسهم في سرداب الزنازين.

وبعدما شعرت بأنه لا يوجد حركة في الخارج ناديته بصوت ضعيف:

ـ "(أحمد)! (أحمد الوكيل)!"

ـ "كيف حالك يا (مدعوك)؟"

ـ "إذن فأنت تعلم أني هنا... فلِمَ لم تتحدث معي من قبل؟؟ هل أنت غاضب مني؟"

ـ "لقد فكرت أن أتركك حتى تعتاد الوضع قبل أن أتحدث إليك، و لكنك سبقتني"

كررت سؤالي:

ـ "هل أنت غاضب مني؟؟ سامحني يا صديقي، فلم أقصد أذيتك أبدًا"

ـ "لا لست غاضباَ منك الآن.. لا أنكر.. في البداية كرهتك جدًا، وكرهت حتى وجودك في حياتي، ولكن بعد فترة طويلة من التفكير توصلت إلى إنك لم تفعل أي شيء عن عمد أن كل ما فعلته حدث عن جهل وغباء، وأن السبب الرئيسي في حبسي هو الظلم الذي كرهته طول عمري، وأنت لست سوى ترس بسيط جدًا في ماكينة الظلم الكبرى.. ترس اعتاد على الدوران دون حتى التفكير في سبب دورانه، أو أن كان هذا الدوران مفيد أم ضار أو حتى إن كان له أهمية أو لا، المهم أنه يدور"

ـ "آسف يا صديقي، فلقد كنت على حق دومًا في كلامك، ولكن أخبرني كيف تعيش، وماذا تفعل في يومك؟"

ـ" لا شيء مهم بالنسبة لهم، ولكنه مهم جدًا بالنسبة لي"

ـ "و ما هو؟"

ـ "التفكير، وبعدها تدوين كل ما أتوصل إليه".

ـ" وكيف تستطيع تدوين ما تفكر فيه؟ أعلم أنه ليس من المسموح دخول أوراق أو أقلام للمساجين.."

ـ"لا تتعجل يا صديقي، فسرعان ما ستعلم أن هذا السجن أبواب وبوابون، ولكل شيء ثمن وسعر، ولكن الآن حاول أن تنام، وأعلم أنك ستعاني في

البداية، ولكنك ستعتاد على العيش هنا، ولا تعلم فقد يحدث غدًا ما لا يمكن أن يأتي على خاطرك"
ـ "سأحاول يا صديقي.. لا تعلم مدى سعادتي بالتحدث معك، ومعرفتي بأنك قد سامحتني"
ومرت الأيام ثقيلة جدًا، فكنت أعدها بالثانية، وبعد فترة اعتدت الحياة، وتوقفت عن عد الأيام، حتى أصبحت لا أعلم عددها، واعتدت أيضًا أصوات الحراس، فأصبحت أعلم كل حارس من صوته، وعلى الرغم من أني لا أراهم جميعًا أعلم عنهم أدق الأسرار مما سمعت من أحاديثهم، وكان لا يكسر نظام حياتي اليومي إلا حديثي مع صديقي كل ليلة، ومناقشته معي، وشرحه لي كل ما يعرفه عن جميع نواحي الحياة.
وفي إحدى الليالي...(أظن بعد مرور ما يقرب من العام على وجودي في المعتقل).. سمعت جلبة عنيفة في الخارج، وسمعت أصواتًا كأنها حرب مصغرة تدور داخل أسوار السجن، وأتاني الحارس المسئول عن حراستي أنا وصديقي، وفتح الأبواب، وقام بإعطائنا زي حراس، وفوجئت به يتحدث إلي بكل فخر، ويخبرني بأني أصبحت رمزًا لمقاومة الظلم، وأني القائد لكل من كره الطغاة، وأفعالهم في البلاد، وأن كل رجال المقاومة ينظرون إلي على أنني الأمل القادم للتخلص من ظلم الحاكم وابنه، وأننا مؤكد سنلتقي في الخارج، وحثنا على الخروج سريعًا، وحدد موعداً مع صديقي في مكان سري يعرفه صديقي جيدًا خارج حدود البلاد. كل هذا وأنا مذهول لا أعلم ماذا أقول سوى أن أهمهم بكلمات أنا نفسي لا أعلمها، وأهز برأسي فقط، وخرجنا في ظل الفوضى، والحارس يساعدنا على تفادي أي عقبة قد تقابلنا، وخرجنا من المعتقل من باب يحرسه أحد الحراس التابعين للمقاومة، وبعد

خروجنا من السجن نظرت إلى صديقي، وحاولت أن أتكلم لأفهم ما حدث، فأشار إلي بالسكوت حتى نبتعد، ونصبح في مكان آمن.

وبالفعل وصلنا لمكان في آخر البلدة، وعندها أصررت على أن أفهم ما الذي يحدث.

ـ "ولم تريد أن تفهم الآن؟ فأنت لا تستخدم عقلك منذ الولادة.. فلم تحتاجه الآن؟"

ـ "أريد أن أفهم لأني تغيرت، ولأني أريد أن أفهم ماذا سيحدث لي بعد ذلك"

ـ "سأخبرك... هذا الحارس من زعماء المقاومة، وهو يعلم حقيقتك الفعلية، وهو من قام بحرق الحانة، ولعلمك حرق الحانة ليس إلا بداية النهاية لطغيان الحاكم وابنه"

ـ "ولكن لماذا أخرجني إن كان من زعماء المقاومة، ويعلم حقيقتي؟"

ـ "السبب بسيط جدًا.. أنك في نظر الحاكم والسلطة الزعيم الفعلي للمقاومة، وهذا ما غذيناه بالفعل للناس في الشهور الماضية، وبعد هروبك سيتأكد الجميع من هذه الفكرة، وسترسخ في عقولهم، وسيكون كل التركيز عليك وحدك، وهذا سيريح الكثيرين من رجال المقاومة"

ـ "و ماذا الذي سيحدث لي؟"

ـ "لا شيء.. فقد قررنا أن نقوم بإخراجك من البلد، وإرسالك لبلدة بعيدة جدًا، وألا تعود هنا مرة أخرى حتى حين، ولكن في نفس الوقت سنقوم كل فترة بعمل شيء يدل على وجودك هنا"

ـ "وكيف تخرجونني من بلدي؟ وأين حقي في تقرير مصيري؟"

ـ "هاهاهاهاها!.... جميل جدًا أن أسمعك تتحدث عن حق تقرير مصيرك.. على العموم حياتك خارج السجن أفضل بكثير مما كنت ستلاقيه

داخل السجن، حتى لو كانت هذه الحياة في بلدة ثانية، وبُعدك عن أهلك هو أقل تضحية تقوم بها لبلدك"

ـ "ولكنك لم تكن تتحدث معي طوال المدة الماضية لتجعلني أستعمل عقلي لتأتي في النهاية وتخرجني من البلدة!... أم أنها كانت مجرد خطة لإشعاري بالراحة، وأن أفعل ما تريد!؟"

ـ "بالفعل يا صديقي كلامي معك كان لجعلك تغير طريقة تفكيرك، لتتماشى مع ما نريد منك في المستقبل، ولنجعلك تستوعب مهامك الجديدة، وأيضًا لإشعارك بالراحة، حتى لا تُقدم على فعل أحمق كان سيضرنا جميعًا"

ـ "وما الفعل الأحمق الذي أستطيع فعله في السجن!؟"

ـ "أن تُقدم على الانتحار مثلًا، وصدقني لن تكون أول من يفعل"

ـ "وما الذي سيضركم في ذلك؟"

ـ "كما العادة... غبي.. لقد أخبرتك بوجود خطة تستلزم وجودك على قيد الحياة، وأن تكون قويًا أمام الجميع، والآن.. يكفي ذلك، ويجب عليك أن تستعد للسفر عند وصول وسيلة الانتقال"

ـ "وماذا عنك؟ ما الذي سيحدث معك؟"

ـ "سأظل هنا، لأن وجودي في حد ذاته أكبر دليل على وجودك بعد هروبنا سويًا، ومعرفتهم بصداقتنا القديمة، ولكن في هذا خطر شديد عليك.. هذا أقل تضحية في سبيل أن نرفع الظلم عن أهلنا.. ونشر العدل هنا سيكون نواة لنشره في كل البلاد المحيطة، ومنها بلدتي"

ـ "ولكني لا أريد السفر، وأريد أن أنضم إليكم في المقاومة"

ـ "ليس الآن، ولكن تأكد من أنك ستقوم بدور كبير جدًا في خطتنا في المستقبل"

ـ "ولكني أريد أن أرى أهلي قبل السفر.. أود توديع أهلي وأولادهم، وخصوصًا (مدعوك) ابن أخي"
ـ "وأين يقيم أخوك؟"
ـ "ليس بعيدًا عن هنا، ولن أتأخر عنده"
ـ "إذن عليك الإسراع، فلابد أن نكون خارج البلدة قبل آذان الفجر"
ـ "أؤكد لك أني لن أتأخر عنده"

ـ "من بالباب؟"
ـ "أنا يا أخي"
ـ "من؟ لا أسمعك جيدًا!"
ـ "أنا أخوك (مدعوك)"
ـ "أنا لا أعرف الآن أحدًا باسم (مدعوك)، فلقد مات أخي"
ـ "أنا أخوك (مدعوك)، افتح الباب بسرعة قبل أن يراني أحد"
ـ "سأفتح فقط لكي لا يراك أحد، وتوقعني في مشاكل أنا في غنى عنها، لأني أعلم أنك لن تذهب.. ماذا تريد أيها الخائن؟ وكيف خرجت من السجن؟"
ـ "خائن!!؟ حتى أنت!!؟"
ـ "بالطبع خائن.. فكلنا نعلم ماذا فعلت في حق بلدتنا وحاكمنا وأهلنا"
ـ "والله يا أخي لم أفعل أي شيء مما سمعت"
ـ "كاذب! وهذا ليس بغريب على خائن!"
ورأيته ينظر خلفي، ونظرت لأجد (مدعوك) ينظر إلي، ونهره أبوه، وأمره بالعودة لسريره.
ـ "يا أخي لم أفعل أي شيء مما سمعت، ولكن لتعلم أن هناك الكثير مما يحدث في هذه البلدة لا تعلمه"

وأخذت أحكي له عن بعض ما رأيت وسمعت من قبل، ولم أكن أفهمه في حينه. أجابني بأنه لا يصدقني، وأنه يجب علي أن أتوقف عن ترديد الأكاذيب، وأنه يجب علي أن أرحل قبل أن يشعر أحد بوجودي، وألا أعود أبدًا، وأنه سيغير اسم ابنه (مدعوك)، حتى لا يتذكرني به، ورجوته أن أرى أولاده، وأن أقبّلهم قبل رحيلي، فلم يقبل، وعندها أخبرته أني سأرحل للأبد، وأتمنى منه أن يعلم أولاده، وألا يكتفي بتعليمهم القراءة والكتابة كما فعل أبونا فينا، و لكن أن يزرع فيهم حب القراءة والمعرفة، وأن هذا سيغير طريقة تفكيرهم، ولن يكونوا منبوذين، أو مُسَاقين، وسيجعلهم أناسًا أفضل".

ضحك ساخرًا، وقال:

ـ "أفضل!؟ تقصد مثلك!؟ أخرج، ولا ترجع، ولو لم تفعل لأنادِيَن الشرطي ليعيدك إلى السجن مكانك، ومكان كل الخائنين أمثالك"

خرجت، ووجدت صديقي يحثني على الإسراع لقرب ميعاد الفجر، وأسرعنا في الخطى، وأنا أبكي قهرًا مما سمعت من أخي الوحيد.

وفي الصباح التالي خرج (مدعوك) الصغير للدراسة، ومر على صديقه (أيمن) محدثًا إياه في صوت منخفض عما سمعه من عمه، وعن الحكايات التي حكاها لوالده بالأمس.

ـ "وهل تصدقه يا (مدعوك)؟"

ـ "نعم أصدقه، ولا أعلم السبب، ولكني شعرت بالصدق في كلامه... لا يوجد شيء بيدي أفعله لعمي الحبيب، ولكني سأنفذ كلامه الأخير، وسأقرأ كل ما يقع تحت يدي، وأبحث عن المعرفة الحقة، وليست فقط ما أسمعه من الناس، وعندها فقط سأقدر أن أعلم أين الحقيقة.. لن أكون كما قال عمي مُساقًا، ولن أصبح (مدعوك) المنبوذ"

تراتيل عشق

عارف فكري

المقطع الأول:

فتاة صغيرة ترقد في فراشها مغمضة العينين، تحلم بالمجهول الذي لم يأتِ بعد!

هذا عندما استيقظت فجأة، لتجد من يحدق إليها!

-"أنت! من أنت!!؟

أيها المفزع، المرعب، القبيح، الملعون بكل لغة، وعلى كل لسان!

اخرج من منزلي المحصن بسورة البقرة..

والمعبق بطهارة الزمن القديم

في كل شبر تنبت زهرة ندية

وفي كل جزء منا..

ينبت الأمل من جديد..

فلا مكان لك إذن بيننا..

فلترحل مصحوباً بكراهية الأجيال"

———

المقطع الثانى:

لم يختفِ الشيطان، ولم يحترق بحرارة البراءة، ولم يخلف وراءه لذة الانتصار، والتي يستشعرها البشر، عندما ينتصرون عليه!

***

-"لا تخافي يا صغيرتي..

لا تولي وجهك الدقيق الرقيق عني..

تجاهلي صورتي القبيحة..

ورائحتي النتنة..

ولساني الأحمر المتعرج..

ففي داخلي يقبع طفل صغير

وحلم وردي بغد لم يأتِ بعد..

لست المذكور في القرآن..

ولست الملعون على كل لسان..

أنا التعيس الذي حارب الشر حتى تطبع به!

من كل جزء قبيح تشربّت

وفي كل مستنقع مظلم ولدت عدة مرات

وكل مرة أقاوم....

وأقاوم...

لأكون من كنته!

تعيس أنا لو كنت تعرفين أو تشعرين!

فمدّي يدك الصغيرة إليّ"

المقطع الثالث:

لم تتكلم الفتاة، وصمتت قليلًا، ثم مدّت يدها إليه!

***

-"لم أرفضه..

لم أطرده..

لم أخف..

وخيل إليّ بأن ينبوعًا لا مرئيًا راح يتدفق منه..

وأسعدني أني أسعدت تعيسًا مثله!"

المقطع الرابع:

بعد مرور عشر سنوات، وفي زفاف الفتاة التي صارت عروسًا جميلة، تقف بفستانها الأبيض بجوار عريسها الوسيم، وعندما انقضى الحفل، رأت بأن تصارحه بسرها الصغير والوحيد.

***

"أيها الحبيب...

استمع إليّ...

منذ سنوات طويلة، منصرمة..

زارني الشيطان ذات ليلة..

ليس هو من تظنه!

كان وحيدًا، يتيمًا، وكنت أمه لليلة!

حضنته بين ذراعي..

ودفنت رأسه الملوثّ فى صدري..

وامتصصت شقاوة الأمد البعيد..

ومرارة الحزن الجهيمة..

لقد انحنى لي في تبجيل..

وصرت أمه الروحية..

فسامحني أيها الحبيب..

لأني أخفيت عنك سري الوحيد"

المقطع الأخير:

وقد نامت العروس، وسعادة رهيفة ترفرف على ملامحها، وزوجها ينظر إليها، متأملًا ملامحها في وله.

***

"-أحبك أيتها.......

أبحث في قاموس الكلمات عن كلمة..

فأعود من رحلتي، حاملًا فشلي، وعشقي، على كفيّ

أعرف أنك أحببتني...

دون النظر إلى ملامحي الوسيمة..

أو شخصيتي..

لعلك لمحت ما بداخلي...

إنني هو...

من سكب دموعه بين يديك، منذِ عشر سنوات!"

******

أحد عشر خريفا

أحمد عياد

يا بلادًا حجبت منذ الأزل
كيف نرجوك ومن أين السبيل؟؟
(جبران خليل جبران)

تنهدت قليلًا، والتفتت إلي.. كانت الشمس قد قررت أن توقف وميضها، وتبدأ في الإبحار بعيدًا.. نظرت إليها وكأنني أحاول أن أوقف الزمن لأنني أعلم ما ستقوله.. لم تمهلني لحظة، وأخبرتني بأنه قد جاء وقت الرحيل.

هي الكردية إن شئت أن تقول أو العراقية، كما كُتب على جواز سفرها. دائمًا ما قيل لها عن هويتها الكثير، لكنها لم تثقِ في شيء إلا ما رأته، وهي لم تر إلا الكذب والدم.

كانت تحمل من النبل الكثير. تتذكر دائمًا كلمات أبيها بأنها كي تكون على حق في رأيها لا يعني أن تكون منساقة وراء أحد. حاولت كثيراَ أن تصنع شخصية لنفسها، لكن دائمًا هناك عقبة. هي لا تعرف إلى أي شي تنتمي، هل إلى العراق أو كردستان حيث ولدت، هل إلى فرنسا حيث هاجرت مع والديها، وقضت معظم عمرها. دائمًا ما كانوا يخبرونها بأن وطنها هنا حيث نشأت حيث توفر لها العلاج والمسكن.. حيث تمت معاملتها على أنها بشر.. شَكّل ذلك لها حلًا مؤقتًا كاد يبدو مقنعًا لفترة، لكن في سبتمبر ١٩٨٥ بينما كانت تعرض لي ما حققته في الفترة السابقة من تقدم في رسالة الماجستير

الخاصة بها، وقد كنت مُشرفًا عليها، وكنت مبهورًا بنشاطها الذي فاق توقعاتي، كان موضوع الرسالة يدور حول تاريخ الثورة الفرنسية، وبينما كنا نتناقش في بعض النقاط كان يقف أمام باب مكتبي إحدى صديقاتها. طرقت الباب، واستئذنت لتدخل، نظرت إليها، قالت لها أن أبيها قد أصيب في حادث سيارة، وهو الآن في المشفى.

مرت اللحظات سريعة جدًا حينها، حتى أنني لا أستطيع أن أتذكرها الآن، كل ما أذكره أننا قد انطلقنا بالسيارة نحو المشفى.. أخبرونا بأنه الآن في غرفة العمليات، فالإصابة كانت خطيرة، كان القلق والخوف هو الشعور السائد، حاولت أن أكون مصدرًا للطمأنينة لها، لكن شيئًا غريبًا منعني أو أعجزني عن ذلك.

ما هي إلا لحظات حتى أخبرونا بأنه فارق الحياة، وأنه في لحظاته الأخيرة لم يقل إلا شيئًا واحدًا.. يريد أن يُدفن هناك حيث وُلد.

"الآن قد فقدت كل شيء.."

قالتها بحسرة بالغة، وبالفعل هي لم تفقد أباها وحسب، بل فقدت معه هويتها، فوالدها الذي أقنعها طوال حياته بانتمائها لهناك حيث نشأت، هو نفسه من يعجز أن يمحو ارتباطه بوطنه رغم كل ما أبداه من قوة وتحمل طوال حياته.

أتممنا الإجراءات اللازمة لنقل والدها إلى العراق على متن إحدى الطائرات.. لم تُرد أن تذهب معه إلى هناك، بل اكتفت أن تودعه حتى صعد جثمانه للطائرة.. هناك في العراق سيكون عمها في انتظار جثمان أخيه كي يدفنه.

في الأيام التالية توطدت العلاقة بيننا بدرجة بالغة، ربما لتشابه قضيتنا، وإن اختلفت بعض الظروف. حاولنا التغلب على كل ما واجهنا من المصاعب،

أصبحت هي من تدير حياتي، وتضيئها. وكنت لها أبًا، وسببًا مقنعًا يدفعها للاستمرار في الحياة.

أعلنا خطوبتنا، ثم جئنا إلى هنا حيث أقف الآن..

عند جسر الفنون في باريس أخذ يبحث قليلًا عن قفل. أتم اليوم أحد عشرة عامًا كاملة، عندما كان يراها كل مرة كانت تمر عليه لحظات ثقيلة هنا، قرروا أن يفعلوا ككل العشاق أن ينقشوا أساميهم على قفل حديدي، ويضعوه معلقًا على الجسر العابر فوق نهر السين، يخبرون البحر عن حبهم قليلًا. لكنه كان يمثل عندهم ما هو أهم، ها هم أدركوا للحظة أنهم بشر.. تذكرت قلوبهم الجمال الذي فطروا عليه.. تذكروا حينها أنهم كباقى الناس يستطيعون أن يحبوا رغم كل جراحهم، وما تحمله ذاكرتهم من أحزان مثقلة بالحروب رغم كل التفاهات التي حاولوا أن يقنعوهم بها في أوطانهم، ليبرروا قتلهم لبعضهم هناك.. رغم أن كل نسمة هواء، وإن عبئت بعطور باريس الفاتنة، إلا أنها تحمل معها أو فى نهايتها ذكرى من رمال يرقد فيها كل من أحبوهم..

هنا عندما كان لقاؤهم الثاني على هذا الجسر، أحضر لها أزهارًا، وعندما أهداها لها ضحكت قالت له:

ـ "هذه الأزهار تحطمني.. إنى أعشقها وأكرهها بنفس الدرجة، كلما نظرت إليها وجدت من النقاء ما يأسرني، ولكن أنا حاقدة عليها.. أتعلم أن هذه الزهور لا تموت!؟ هي فقط تتساقط عند الخريف، لكنها تعلم من أين سقطت.. تعلم من أين وجدت، لكن أنا حتى الآن، وبرغم وجودك الذي يمنحني الثقة، وبرغم حبي لك مازلت أشعر بأن هناك شيئًا لابد أن يتم.. أريد أن أزور قبر أبي"

بالفعل قد أخذت قرارها، وأصرت عليه. كانت مع كل نسمة هواء تمر تستنشقها، لعلها تكون قد جاءت من بلادها من حيث بدأت.. هل للوطن رائحة؟ لا بل للوطن روح تسكنك، وإن جافتك قليلًا تنساها لدقائق، ثم ما تلبث أن تمس قلبك إما حسرة على الفراق أو حسرة على حاله.
حاولت أن أعدلها عنه، لكن لا فائدة.. قلت لها:
ـ "هناك في العراق كل يوم قتلى"
قالت:
ـ "سأعود لك، وستراني دائمًا، وإن لم أعد فلك تلك الزهور التي زرعناها في حديقة بيتك.. عندما تتساقط أوراقها كل خريف ستراني فيها"
هنالك في العراق كانت تبدو غريبة عنها رغم أن صورته تسكن قلبها.. ذهبت لقبر أبيها، ثم مضت نحو هذا الجبل.. كانت محملة بكل كلمات الأسى التي تعرفها.. وقفت هناك شاردة تنظر للقمر أغمضت عينيها.. اتخذت بعض الخطوات للأمام.. تذكرت كل ماخلفته وراءها.. تذكرت كل ما فعله بها الزمان.. هي المسلوبة من كل حق.. قررت أن ترقص لمرة أخيرة، لا بل للمرة الأولى صعدت إلى هناك حيث ظنت أنها ستلمس السماء، فوجدتها بعيدة، أشاحت عنها خمارها تدفق شعرها في الهواء كنهر أسكت مجراه الصخور منذ أعوام.
مرت الأيام بدونها حزينة حتى أنني بكيت كلما اشتقتها، لم أستطع أن أعلم أي شيء عنها لمدة أشهر.. حتى في صباح أحد الأيام رن هاتف المنزل.. كانت بعض كلمات بلكنة غريبة أخبرني فيها المتكلم أنني فقدت أكثر من أحببت.. فقدتها.. هناك قد ماتت.. هناك في أربيل عاصمة كردستان حيث ولدت. قرر إرهابي أن يقضي على حياة البشر.. قرر أن يصنع تفجيراً يقضي

على بشر، ويقضي على من علقوا روحهم بهم، لكن لماذا كل هذا؟؟ قتلوها لأنها أحبت.

اليوم هو الذكرى الحادية عشر لفراقك.. مازلت على عهدكَ.. مازلت أرى صورتك أمام عينيي كل صباح، وأرسمها هنا عند كل غروب على مياه نهر السين.. هل تذكرين هذا القفل الذي كتبنا عليه اسمينا!؟ مازال موجودًا، وما زالت آثار يدك عليه أتحسسها وأتتبعها، مازال لقائك رغم موتك هو أملي وسلوتي.. هناك عند مكتبي في الجامعة أجلس كل يوم أتذكر أول مرة رأيتك فيها.. تكاد عيناي أن تصدق أنك حقًا جالسة أمامي.. أنا أفتقدك كل يوم ألف مرة، وأذكر لك كل يوم ألف كلمة.. ألف ضحكة.. ألف همسة.

اليوم جمعت لك زهور الخريف المتساقطة، لكي أطلق سراحها في الهواء كما كنتِ تحبين أن تريها.

الآنَ أدرك أن بموتك قد فقدت روحي منذ إحدى عشرة خريفًا.



ثرثرة الموت

سعيد مدكور

بين اليقظة والحلم هنالك ما هو ليس بعالمنا، ذلك هو رؤية الموت، عندما يفتقد الجسد إلى كينونته الثانية، ويجاهد لاسترجاعها، وعند الفشل ستبقى في عوالم الثرثرة، هناك كثيرون.. هم يتحدثون، ولكن لا يسمع إلا صوت الموت..

****

-- ثرثرة الموت --

مصابيح التنبيه لا تكف عن الإضاءة، أصوات الأجراس لا تيأس من الصفير..

آه كم هو مزعج ذلك التكرار، وذلك الروتين الممل! دائمًا يبث بداخلي ذلك الشعور بالغباء.. التنبيه الأول أنت لست مدركًا.. التنبيه الثاني أنت لست مدركًا.. التنبيه إلى ما لانهاية.. أنت أحمق! لماذا لم تدرك؟ لماذا؟

تلك الإضاءة المتقطعة ولكن تلك ليست للتنبيه هذه المرة، إنما لإخبارك بحضور الكارثة.... نعم هي كارثة بالفعل..

أجلس منتظراَ قطاري، أنظر للاشيء... وحدها مصابيح التنبيه القادرة على إحضاري من هذا العالم غير الموجود.

رجال ونساء، أطفال وشحاذون، باعة جائلون، معاقون، بضائع، حقائب، صناديق، والكارثة..

أنتظر بفارغ الصبر نزول ركابه الهائمين في عالم التفكير في المشاكل، والحسابات، والمستقبل دائمًا.. هو كذلك مثل يوم الحشر، وكأن نفخ في البشرية.. في تلك اللحظة لتتأهب.

يوم يسبق أحدهم أخاه، ليفوز بموضع يقف فيه على أصابع قدميه، حينها سيبرأ من كل أتباعه، ويهتف بالنصر، والعبور، والفوز بموضع لقدميه!

يا إلهي! أستطيع أن أتحمل أي بؤس فى هذا العالم غير هذا الذي أنا فيه.. رائحة نتنة، وقدم لكائن لم يحدد له نوع أو سلالة حتى الآن، الأولى من إبط أحدهم أو جميعهم إلى أنفي، والأخرى أبيدت بسببها ما تسمى بقدمي.

أكثر ما أحبه في تلك المحطة أني أستطيع فيها أن أفوز بمقعد بين سبعة أشخاص غير آدميين.. لا يهم كل ذلك، سيأتي اليوم الذي أحوز فيه بمقعد بين سبعة أشخاص آدمين، أو ربما سيقل العدد، ويبقى النوع.

وحتى إن تغير كلاهما سيبقى شيء واحد لن نتمكن من هزيمته.. الثرثرة.. المرض الذي عجزت البشرية أن تجد له تفسيراَ منطقياَ.. أجلس بصعوبة، أنزع نفسي من كل هذا، أتنفس هواء نتنًا، قدماي تحولتا إلى ورقة. صناديق وحقائب في كل مكان، ورجل نائم مستندًا على كتف من بجواره، مغطى برداء من أعلى رقبته لأسفل ركبتيه.. ردة فعل ممتازة.. هنيئًا لك نومك الإجباري.. كم أود أن أكون مثلك الآن، خارج نطاق الثرثرة، خارج نطاق الوعي. مجرد نقطة تسبح بين خطوط متقاطعة، ثم يحين الوقت، ويحجزني ثلاثتهم، حينها سأفيق على لكمة قوية في أسفل ظهري تجبرني على التقدم، والقفز على مكعبات من البشر رغبة في النزول، هنيئًا لك ولا عليك.. كفى بي عالمي.

يتوقف القطار، تركض الركاب على الأبواب، تستعد للنزول، تفتح الأبواب..إنه الطوفان.

أفيق من عالمي.. لا أرى إلا الرجل النائم، بجواره نفس الشخص في وجه مكفهر، يقف القطار مرة أخرى، ينهض الرجل، يمسك برأس النائم، يسنده على المقعد فى وضع النائم على أريكة، ثم يهم بالنزول قبل أن يغلق باب القطار.

يتحرك القطار، ومعه عقلي إلى العالم، ثم آهة بصوت متحشرج تتكرر عدة مرات.. أنظر حولي.. لا أرى إلا جسدًا ملقى فى ثبوت عميق.. أنهض من مقعدي، أتحرك ببطء، أقترب من وجهه، أنزع عن وجهه الغطاء، وجه متجمد، إنه ليس بنائم، ولكن ما أدراني أنا بتلك الشعرة بين النوم و الموت!

إنها الجنون، إنها عالمي اللا موجود.

يدي تتحرك بغير إرادة، تلك الرغبة الملحة التي تنتابني الآن في معرفة هل من أحد ينازعني في ذلك العالم أم هو ملك لي أنا، أنا فقط، ولا أحد غيري..

الغطاء سقط على الأرض، وبطن مفتوحة، وأمعاء بين يديّ!

أتراجع في رعب، أركض إلى الباب، القطار متوقف في إحدى المواضع بين المحطات، أركض، أصرخ، أضرب جدران القطار بكل قواي، أبكي بغير دمع.

أقترب منه مرة أخرى.. أراه يقاوم وضعه، أتراجع في خوف، يستند على المقعد، ثم ينهض واقفًا، يمسك بيدي، يجرني وراءه، أمعاء مدلاة، دماء أصبحت في كل مكان، يجلسني على مقعد، يتراجع للمقعد المواجه، ثم يتخذ وضع النوم كما كان في مواجهتي الأولى ناظرًا إلي.. لم يغمض عينيه.. صوت الموت في حشرجة صوته، رائحة الموت تنبعث من كتلة لحمه، برودة الموت في قبضته مازلت أشعر بها بين معصمي، عيناه غير ثابتتين في حركة مستمرة لا تتوقف.

ذلك الصمت المبهم هو ما يرعبني، ما زالت عيناه في حركة، ما زال قلبي يحطم جميع الأرقام القياسية بين دقات القلوب، أشعر به يحدثني بأنه لم يعد له مكان بين صدري المتحطم من انفجاراته المتتالية، آه! لا أستطيع أن أتحمل كل هذا.

ـ "لِمَ أنت خائف؟ فقط لا تنظر إلي"

ـ "......"

ـ "لا تنظر إلي، وحده من يحب أن ينظر إلي هو العاشق الأخير"

بصوت متقطع لا يخرج وكأنه ممسك بتلابيب العنق واللسان:

ـ "ماذا تقصد؟"

تتوقف عيناه على نقطة ما على جسمي، ليست عيناي، ليس وجهي، إنه صدري، يقف بسرعة جنونية، الأمعاء ما زالت مدلاة، تتخبط في ركبتيه، يركض نحوي

يتوقف أمامي، يميل ببطء، يشير إلى صدري الأيسر.

ـ "هذا، هذا، لقد توقف لم يعد كما كان"

يستدير ملوحًا:

ـ "دوم! دوم! دوم! دوم! دوم! دوم! دوم! دوم! دوم!...... دوم!....... دوم! ....حاولت، ولكنها لم تعد، لم تعد"

أتمالك نفسي حتى لا أجن، فالخوف هو مهد الجنون، أبتعد إلى طرف المقعد، مازلت أنظر إليه، ومازالت عيناه لا تتوقفان عن الحركة.

ـ "ما... ما... ما الذي حدث لك؟ وكـ.. كـ.. كيف؟"

ـ "لا يهم، عندما يأتي الموت لا تتحدث عن طرق وأسباب، تعيش طيلة حياتك تلعن، وتهدد، وتتحدى، ولكن عندما يأتي الموت يختفي كل شيء، ويبقى الأمل في البقاء"

- "ولكن أنت ميت.. كيف تتحدث!؟ كيف تتحرك! فالميتون جثث ساكنة"

- "كيف تعرف ذلك؟ هل سبق لك وأن مت من قبل؟ "

- "لا، لا، لا، ولكن...... ما اسمك؟ "

- "لا أتذكر! "

- "أين تعيش؟"

- "لا أتذكر"

- "ماذا تعمل؟ "

- "لا أتذكر"

- "ما...."

- "توقف عن السؤال، فأنا لا أتذكر شيئًا"

- "إنه الموت، لا يكتفي بأخذ الروح، لا يكتفي بقتل القلب، بل وأيضًا يسرق ذاكرتك"

تتوقف عيناه تلك المرة على وجهي، ينظر إلى عيني لمدة طويلة، لا تتحرك مقلتاه، يبتسم، ثم ينهض بسرعة، يأتي إلى مقعدي، يجلس بجواري، ينظر إلي، أتجنب النظر إليه، لمَ لا يتحرك ذلك القطار اللعين، يمسك بيدي، يضغط عليها بشدة، أكاد أن أصرخ من فرط الألم.

- "لقد تذكرت!"

- "يداي! اللعنة على ما تذكرته! أترك يداي!"

- "أنت هو أنا! "

- "ماذا!؟ أنت لا تعي ما تقوله، لقد جننت.. سلب الموت منك عقلك.. وليس فقط ذاكرتك"

- "أنظر! أنظر! نفس الوجه، نفس الشعر، لون العينين، كل شيء.. إننا واحد"

ـ "ابتعد عني أنا لست بميت، ابتعد عني أيتها الجثة المتعفنة"

ـ "أنا لا أتذكر شيئًا، ولكني لا يمكن أن أخطىء في ذلك"

يمسك يدي بقوة، ينهض ويهرول مسرعًا، يجرني وراءه، يتوقف عند باب العربة، ينظر إلى الزجاج العاكس، يتراجع ممسكًا بيدي في بطء حتى الباب المقابل، يترك يدي، يمسك أمعاءه، يحشوها في معدته، يتوقف في انضباط، يرفع يده يشير إلى الزجاج، ثم ينظر إلي.

ـ "أنظر إننا نفس الشخص، أنت وأنا لا فرق، أنظر"

ـ ".........."

يا إلهي! إننا نفس الشخص حقًا.. ما هذا!؟ أنا لا أعي شيئًا.. كيف أكون حيًا وميتًا في نفس اللحظة!؟ هذا لا يمكن.. لا أستطيع التفكير أكثر من ذلك، أنا لست بميت، لست ميتًا، هو الميت.. لست أنا.

ـ "انظر يا عزيزي، أنا المادة وأنت الروح، جميل أنت.. ترى نفسك بعد مماتك، إنه لشيء ممتع"

ـ "أنا لست بميت، أنت مجنون، أنا لست بروح"

ـ "لا يا عزيزى أنت الروح، وأنا الجسد الميت.. تلك هى الرواية التامة، هذا كل شيء"

يتركني عند الباب ناظرًا للزجاج، ليرحل إلى مقعده، يجلس، ينام، يغمض عينيه في ابتسامه مخيفة.

ـ "أنا لست ميتًا، لست ميتًا، أنت مجرد وهم، أنت جثة متعفنة"

ـ "ميت! ههه! كيف!؟. كيف أموت وأنا مازلت أشعر!؟ ما زلت أتذكر! مازال قلبي ينبض! كيف؟"

ـ "حسنًا أوافق، أوافق، أين أنا الآن!؟ أين الجنة؟ أين النار؟ هل سأموت وأبقى في نفس العالم!؟ ومع من!؟ مع جسدي المتعفن!؟.... أنت اصح.. تحدث إلي.. أقسم بأني مازلت حيًا!"

.

.

.

.

.

ثرثرة، ثرثرة، لا أستطيع التنفس، أناس يركضون ذهابًا وإيابًا، أفتح عيني ببطء، نفس العربة من القطار، نفس الأشخاص، قدماي، الرائحة، صوت التنبيه، الأبواب تفتح وتغلق، وأنا مستند على كتف أحدهم، مغطى بغطاء من أعلى رقبتي إلى أسفل ركبتي، أرفع الغطاء ببطء عن جسدي... يا إلهي! فى عالم الموتى، لا يتحركون، في ثبوت عميق أجلس،
لثرثرة الموت أستمع، أفتح عيني لأرى اللاشيء..
لقد خُلقنا لنموت، وبين النفس الأول والأخير سنراه يحيط بنا بثرثرته المعتادة...



أمي

ولاء بيومي

دقَّ جرس ذلك المنبه المزعج، نظرت إليه بنظرةٍ يشوبها الملل تُخبره أنها استيقظت من قبل صوته، بل إنها لم تنم طيلة الليل. نفضت عن نفسها الفراش، وجلست على حافة سريرها صاحب الشراشف المُتهالكة.. يداها على قدميها، تنظرُ للأرض وكأنها أضاعت شيئًا ما، ولا سبيل لإيجاده... بعد لحظات تائهةٍ دون وعي قامت متثاقلة الخطى، وقفت أمام المرآة تنظر لتورمِ عينيها الناتج عن بكاء ليلة كاملة، ثم توجهت ووقفت أمام خزانة ملابسها تفكر في تردد ألا تذهب للمدرسة اليوم، ثم تذكرت أنها إن بقيت هنا ستسلم نفسها للحزن الذي دون شك سيقتلها.

ارتدت ملابسها في تباطؤ واضح، وذهبت للمدرسة، لم تحاكِ أحدًا من زميلاتها، بل جلست في صمتٍ بعيدًا عن الجميع.

اليوم يومٌ حافل عندهن، كلن منهن تحكي وتسأل عن نوع وشكل الهدية التي جلبتها الأخرى لأمها. هي هنا تجلس بلا أم، هي الطفلةُ ذات الخمسة عشر عامًا، سمراء شعرها أسود كالحزن الذي يملأُ قلبها، عيناها لوزيتان تملؤهما الدموع، ملامحها بها براءة طفلةٍ في الشهور الأولى من عمرها.

تُوفِيت والدتها بعد صراع مع المرض دام أعوامًا، تحاول التأقلم على حياتها مع والدها صاحب الهم الأكبر الذي تحول بِفعل الحزن على أمها والمسئولية الملقاة عليه من بعد رحليها صامتًا أغلب الوقت محاولًا تعويض نقص غيابها، يبتسم بصعوبة وكأن السعادة فارقت قلبه برحيلها، والمنزل تحول

لمقبرة تدخلها الشمس كل صباح ولا تضيئه. واليوم من بين أيام السنة هو الأقسى على قلبها الصغير، اليوم الذي تعرف فيه بأنها سُلبت الحق في السقوط بين أحضان أمها.

نظرت للشارع من خلف زجاج نافذتها، فوجدت نقطة مياه تنزلق على الزجاج وكأنها تبكي بدلًا عنها، لتبقى هي أبية أمام الجميع.

انتهى اليوم الدراسي، وذهبت كل واحدة منهن لأمها، وهي حملت حقيبتها على كتفيها وكأنها تحمل همًا ثقيلًا.. لا تقوى على حمله وحدها، مشت في طريقها للمنزل، وذات لحظة توقفت، زادت ضربات قلبها اضطرابًا حين وصل اشتياقها لأمها أقصاه. أخذتها خطواتها بشكل لا إرادي إلى مقبرة أمها البعيدة، وقفت أمامها قليلًا، ثم جثت على ركبتيها، وقالت:

ـ"اشتقت إليك، اشتقت لتلك الضمة الصباحية الدافئة، لتلك الثرثرة الطويلة، فهل لكِ أن تعودي!؟"

نظرت للسماء، وقالت بصوت يملأه البكاء:

ـ "هل لك أن تردها إلي!؟"

سقطت دموعها كنقطة المياه على زجاج نافذتها في هدوء، تنهدت ثم تنفست ثم عاودت الحديث لأمها

ـ "أشتاقك يا أمي... أشتاقك كثيراَ يا أمي"

******

دُرج الذكريات

إيمان محمد

شتاء ديسمبر، ظلام الطرقات الخالية، درجٌ عتيق رقَّ ولان لحالها، أصبح صديقها، بل كل من تعرفه فى هذه الكذبة المسماة.. "حياة".. كان وفياً لها، حَفِظَ سرها، وأخلصَ لها، كان دفئها الوحيد، رغم المعطف الأسود الملازم لها، فما قيمة معطف يمنحُ الدفء لبدنٍ قلبه يرتجف!؟ فكان يدفء قلبها، والآن تتخلى عنه! ماذا فعلَ لها لتتركه!؟ اعتاد عليها كثيراً، فأربع سنوات التزمتْ فيها بموعدها معه، ولم تتخلفْ فيها يومًا منذ فراقها، وهي تلازمه من الثانية حتى الخامسة صباحًا، قضتْ معه ساعات طويلة، لامستْ فيها بكلماتها وبكاءها شغاف قلبه غير المعترف به، أيعقلُ أن يكون لجمادِ قلب!؟ كفيلة أن يحفظ فيها رائحة عطرها الرجالي، التي لازمتها، كم تمنى لو يستطيع الحديث كالبشر، ليخبرها أنها لن تستطيع دفن ذكرياتها مع ذلك الرجل الشرس فى حبه، وهجره، طالما أنها تلتزم بوضع عطره، يالها من مخلصة مغفلة! لمْ تكتشف بعد أنه مع كل امرأة يغيرها، يغير نوعية عطره!! لم يشهد هذا الدرج على حبهما، لكنه شهد فراقهما.

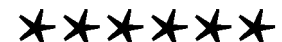
* * * * * *

كانتْ تجلس الى جواره بالسيارة، عندما توقفَ عن القيادة فجأة، وقد اقتربا من الوصول، سألته عن سبب توقفه المفاجئ هذا، لكنه لم يجبها، فصمتتْ بدورها، مرّت دقائق ثقيلة من الصمت بينهما، دخنَ فيها من السجائر ما

يكفي للإصابة بنوبات قلبية، والتهابات رئوية حادة، لكنها لم تبالِ بكم الدخان الذى حجبها عن اختلاس النظرات المتوترة له، استمرَ فى التدخين، واستمرتْ فى الصمت، أطفأ سيجارته السابعة، وأخيراً تحدثَ، ولَيْته ما فعل، فبماذا عساه أخبرها إلا بما آلمها حقًا!؟ ترجلتْ من السيارة بقلبٍ ممزق، مزقه إلى أشلاء، وسقطتْ جميعها، وبمجرد ترجلها من السيارة لم تجدها، ولم تجده، رحلَ دون أن يودعها ولو بعينيه التي لطالما ضاعتْ فى سوادهما، ولم يترك لها فرصة لتودعه. لأول مرة تترجل من سيارته في طريقهما لمنزلها دون أن تلوح له، ودون هدية منه، لكن كلا، أهداها.. فلا يليقُ برجلٍ عصري مثله أن يودعها هكذا دون هدية، فبعد أن ترجلتْ من السيارة أخرجتْ مفكرةً وقلمًا من حقيبتها، وخطت على إحدى الوريقات بيدٍ مرتعشة.. "يوم التقينا أهداني قبلة، ويوم تودعنا أهداني خيبة!!".. لكن سرعان ما عاودتْ فتح المفكرة ثانيةً بعد أن أغلقتها لتشخبط على "يوم تودعنا".. لتكتب مصححةً.. "يوم افترقنا".. لتصير الجملة.. "يوم التقينا أهداني قبلة، ويوم افترقنا أهداني خيبة!!".. فهما لم يتودعا!! تنبهتْ لدرج المنزل العتيق، المقيم أهله بتركيا منذ عقود، ألقتْ جسدها عليه، لتنقذه من أي سقوط مفاجئ، وأخذتْ تستعيد كلماته الأخيرة.. "الحب كفيلم سينيمائي، مهما طالتْ ساعات عرضه، لا بد له من نهاية، وقد حان الوقت لنهاية حبنا".. سقطَ قلبها مع الكلمات، قبل أن تجد درجًا لتنقذ سقوطه.. كانتْ الساعة وقت استلقتْ على الدرج الثانية صباحًا، وظلتْ تبكيه بدمعٍ لا يتساقط، وغادرته في الخامسة من صباح ذات اليوم، هكذا بدأتْ قصتها مع الدرج، أما عن ذلك الرجل، ففي الصباح الباكر لذلك اليوم، خرجَ لشراء نوع جديد من العطور، لحبيبة جديدة!!

* * * * *

الآن وبعد أربع سنوات من مشاركته عذابها تقرر اليوم (يوم عيد فراقها الرابع) السفر، ذهبتْ على ميعادها في الثانية، لكنها ولأول مرة منذ أربع سنوات لم تجلس ثلاث ساعات كعادتها، بل جلستْ فقط ثلاث دقائق، أخبرته فيها على عجل أنها ستسافر الآن في هذا الليل، وفي هذا الشتاء القاسي.. شتاء ديسمبر.. علها تنسى حبها، أخبرته أيضًا أنها ستشتاقه كثيراً، ستشتاق الجلوس عليه، والحديث معه، ثم تركته ورحلتْ، جُرِحتْ، فجرحته بغير قصد منها، والآن هو يبكيها، ويبكي عهدها الذي قطعته على نفسها منذ أول يوم جلستْ عليه، وأقسمتْ أنها ستقضى هذه الساعات التي حددتها معه فى بكاء، وحديث، وصمت، واشتياق، وحب، وعشق، ووفاء، وإخلاص، وصمود، وكبرياء، إلى أن تفيض روحها للسماء، وها هي تخالف عهدها، لكن هذا الدرج المسكين رغم تركها إياه، سيظل وفيًا.. حقًا ظلَ وفيًا، فلم يستقبل بعدها أحد، ولم ينقطع عن البكاء، يتمنى لو يصرخ عاليًا.. "أيها الشتاء القاسي! وأيتها القلوب المتحجرة! ألم تسأموا التجريح!!؟؟"



هوية وطن

آية الله طلعت

عندما تختلط الأحلام بالواقع، ومرارة العَيش برغده، ويتسارع الزمان نحو النهاية وما هو إلا حديث عهد بالبداية، عندما يشتد الذُل والهوان، ويختلط العدل بالطُغيان، وينبُت الزهر من أرضٍ جدباء، وتُخرج الأفعى عسلًا به شفاء للناس، عندما يسقط المبدأ أمام الهَوى، ويسقط الشرف والأمانة لأجل الرزق وسواد الحال، عندما يقبل المرء أن يُقدم له حقه منحة، ويرفض أن يُطالب بحقوقه خشية تهاوي أسياط السلطان، عندما نتخاذل عن قضية، ونقبل التخفي وراء الجُدران، ونتخذ من قوت اليوم رداءَ للخُذلان، عندما يسود السيد، وتُعدم الأجيال، وتوأد الحرية لأجل إنسان!

أقفُ في مكانٍ به جمعٌ ليس بقليل من البشر، ترأسهم عائلة مكونة من أب وبنت وولد وهم في عمر الطفولة، لكن العجيب أن اختفى هذا الأب من أمامي، وكذلك الطفل أخذ يلهو كعادة الأطفال، أما عن تلك الطفلة، فإن هذا هو الصدمة بحق.. لقد ترأست كرسيّ العرش كما لو كانت فرعون في زمانه!... تحظى بحفاوة ليست طبيعية، وتتلاقى عليها العبارات المُنافقة يمينًا ويسارًا، حتى تكاد تجعلها تطير بيننا من فرط عجبها بتلك الكلمات.

وقد استمعتُ إلى أحدهم يُحدث الآخر بشيء من الخوف حتى لا تخترق كلماته مسامع حاشية المكلة الجديدة (الطفلة) قائلًا:

ـ "علينا أن نستمر في المدح والثناء حتى لا نُقذف بالوباء!! أرى أن هذه العائلة تتمكن من الحكم يومًا تلو الآخر، فعلينا أن نسعى إلى رضاهم، لتُيسر لنا الأمور تباعًا، ولا تتعطل مصالحنا، ولا تلك الأموال التي تُدس في خزائننا يوميًا، وليس هناك أيسر من مداعبة الملكة كي يرضى عنا الملك! إننا نملك شعبًا غبيًا يقنع بما يجد، وإن كان خبزًا أجدبًا بلا قطعة جُبن! فكيف لا ندخر لنا ما رفضوا أن يطلبوه منا!! فلندع لهم الخُبز، ولنملأ خزائننا..."

وقد بلغ الثناء حَده حين رأيت البعض يسعى لتقبيل يديها، وتتعالى ضحكاتها، وتتقبلها بالمبالغة والتكبر، وأنا أقف في رُكن بعيد لا أدرى لماذا لا أشاركهم مجلسهم!! ربما لأني أتيقن أن زمن العبودية قد ولى ومات! ليكُن..

وفي لحظة من الزمن وجدتُ عددًا غفيرًا جدًا من الجنود يُكونون حصنًا بشريًا حول البُنيان الذي نحن فيه مُقيمون، واختفت معالم الفرحة فجأة، وكذلك الجبروت أو كما نقول (العنتظة) الكذابة لدى تلك الطفلة، وأصبحت كمن ألقى عليها دلوًا من الثلج في ليل قارص البرودة! أما عنا فقد تجمعنا في مكان واحد جميعًا، وربما استلقى البعض على الأرض كي يقي جسده من تطاير الرصاص!

ذهبت حيث الجنود، وبكيت ألمًا أريد أن أشاركهم! لا بل أُريد أن أحميهم، فكيف يدفعون أرواحهم برضًا وسكينة هكذا لأجل هؤلاء، وددتُ لو أن أُدفع بالسلاح مثلهم، ولكن رمقني أحدُهم ببصره، وقال:

ـ "عليكِ أن تدلفي إلى الدار قبل بدء المعركة.."

عزمت على النُطق، ولكن كأن لساني قد ألجمه قوله! ماذا!؟ معركة!!؟ معركة مَن؟ وإلى أين!؟ وكيف؟ ولأجل مَن؟؟ هؤلاء!!؟ يكاد يتطاير الشرر من عيون القائد الذي دفعني إلى الداخل وأنا أهتُف به:

ـ "لا! لا! لا!... مكاني ليس بالداخل! مكاني بين الجنود! مكاني معكم! لستُ أخشى الموت! لستُ جبانة! لستُ بامرأة، بل إني أنثى بقلب رجُلِ.. أؤمن بالعروبة.. أؤمن بوطني.. أؤمن بالحرية.. فكيف بكَ تتحكم بي، وتنزعني من هويتي، وتعلن سُلطانك وسيطرتك عليّ!! لا.. لا لن أسمح لك، لن أقبل بأن أحمي بكم، بل وجب عليّ أن أحميكم أنتم!"

ظللت أتطلع إلى هؤلاء الجنود.. كيف لي أن أصف تلك الوجوه!!؟..... يا إلهي! ابتسامة!؟... أجُننتم!! تبتسمون وأنتم مُشرفون على الموت!؟ كيف تبتسمون وأنتم تعلمون أنه الآن بمجرد رصاصًة واحدة ستنتهي لديكم الحياة!؟ فالعرب جميعًا فُقراء، أو هكذا لنفسهم أرادوا، ولا يملك الجندي البسيط سُترة حديدية تقيه تلك الرصاصات الغادرة، ويصبح جسده هو اللوحة التي يسعى إليها الرماة! هي فقط رصاصة وتنتهي معها الأحلام والآمال والمستقبل.. ألهذا أنتم مؤمنون!؟... تؤمنون بالقضية! بالوطن! بالشرف! بحمل السلاح! بل بالموت!!

صُعقت وأنا أرى أن تلك الوجوه الطيبة والأنفُس الزكية ستُزهق لأجل هؤلاء! لا.. لا.. بل لأجل هذه القضية، لأجل العِرض، الشرف، الكرامة، الإنسانية، المبدأ، السلام، الحرية، بل لأجل الله! أليس من حقنا أن نسترد أرضنا، ونثور لأجل دمنا وعِرضنا!؟ وكيف تَحيون أنتم وسط هؤلاء!!؟ كيف يحيا الصدق جوار الخديعة والمكر!؟... كيف ينبُت الزهر بأرض جدباء!؟... كيف يسكُن الرضا جوار سخط مُدعي الإيمان!؟... وكيف يسير العُري جوار أهل الحياء!؟... كيف يحمل الكلل من عَاش لأجل الفناء!؟... ويهنأ بالعَيش والسكينة من أرادوا لنا الانحناء!؟... كيف تُروى الأرض بدمائكُم لأجل هؤلاء التُعساء!؟... أليس عليكم قبل تحرير الأوطان أن تحرروا هذه العقول من الغباء!!؟ وتُنيروا لهم الدروب، وتختاروا لهم سُبل النقاء!؟...

وتُخططوا لأجيالهم سُبل الإباء وقواعد العز والإعلاء!؟... كيف ترحلون لأجل هؤلاء!؟ إنهم لشر الابتلاء! كأنكُم تبنون لهم وإن لم تبنو لهم فستتطاير أرواحكُم هباء! لأنكم آثرتم أن تكونوا السعداء! أوليست الجنة هي السعادة الحقيقية في دنيا البلاء!

انتبهت فجأة وأنا أنظر إلى شبح يأتيني من بعيد، ويتمتم بكلمات بدت للوهلة الأولى صعبة عليّ، أو ربما هكذا خُيل لي، فأنا الآن في عالم آخر لا يمُت للواقع بصلة، أخذ هذا الشبح يُعيد عليّ كلماته بصوت أكثر قوة ودقة، ولكني مازلت لا أفهم، ووجدت الضحكات تخرجُ من فمي بشكل يبدو مفرطًا للغاية، وكأني أتلذذ بمحاولته في إخباري بما يُريد، وبجهلي عما يود الإفصاح به، أو ربمـا أضحك غيظًا وآلمًا لما يحدث حولي! ربمـا...!!

ما بالي أضحك!؟ هذا ليس وقت الضحك.. شعرت بيد تقترب إليّ من الخلف، ربما هذا أحد الأشباح التي لا أستطيع رؤيتها أو الاستماع إليها، فألتفت لأجد يدًا تحاول أن تدفعني للأسفل كي أستلقي على الأرض مثلهم، لأقيَ نفسي من الرصاص الذي يتطاير في أرجاء المكان.. نعم.. نعم.. الآن فهمت ما ظل يُردده هذا الشبح الذي قد خيم الظلام عليه تمامًا، ولم يظهر لي منه سوى يديه المرتعشتين، واللتان تبدوان لي في الظلام وكأنهُما يدا شيطان!! أو ربما هو بالأصل شيطان!! نعم.. ربمـا!! قد ظهر لي هذا الشبح مع بعض من صوته الجهوري !

ربما الآن أموت وليس أي موت بل هي شهادة! أي جنة بدون حساب أو سابقة عذاب، ولكن مازال عقلي مشغولًا بأسئلة كُثر.. هل سيقبلني الله في الجنة؟ وهل أنا راضية عن حياتي؟ هل استقمتُ بشتى فروضي في دنياي؟ هل لم أُجرم بحق أحد؟ أجدني مُشرفة على الحساب، وسألقى كتابي، وبلساني سأقرؤه، وبسائر حواسي أُصدق على كل ما فعلت به!

يا إلهي إن الموت يأتي فجأة، وكُل منا منذ دقائق كان لاهيًا في بحر ملذاته، ويطمح في المزيد، بل رُبما قد أعد عدته لأعوام لاحقة، وكيف لا وقد سمعت منذ قليل أحدهم يُعد خطته للنيل من أموال الرعية لامتلاء خزائن الراعي!.. ما أغبانا بنو البشر، نظُن أننا نملك مُستقبلنا، ونخطط له، ونعد العدة لذلك، ولا نملك من أنفسنا شيئًا.. تُرى إن أذن الله لروحي أن تُرسل إليه الآن هل أستطيع منعها!؟ بالطبع لا.. إذًا فلماذا يطول أملي بالحياة!؟

نفضت كل هذه الأفكار عن عقلي، وحاولت أن أتشبث بواقعي أكثر، فما زلتُ أملك الوقت.. على الأقل أملُك هذه الثانية، ولا بُد أن أصنع بها فارقًا.. نهضت من مكاني وكأن حيّة قد لدغتني للتو.. ذهبت أتحسس طريقًا لهؤلاء الجنود، وأنا أسمع الرِصاص يدوي بالمكان حولي.. حاولت أن أقيَ نفسي من ضربات الرصاص التي تغزو البِنيان حتى لا تصيبني أحدها وأموت.. لا أخشى الموت، ولكن لا أريد أن أموت هكذا.. كما الجُبناء.. أريد أن أصنع فارقًا، وأخط بدمائي حرية وطني.. أسرعتُ الخُطى.. ربما أستطيع أن أُسعف مصابًا، أو أنجد متأرجحًا يعلق بخيط الحياة على هاوية الممات.. وربما أجد سلاحًا وأقتل عدوًا غادرًا، لصًا دنسًا، حيوانًا بشريًا بطلقات رصاصية تهوى به أرضًا.. الحمد لله قد وجدت الطريق، فتحت الباب برفق ومشاعري تتخبط كأنها تُعارك الزمن ما بين رهبةً ورغبة، ألمًا وأملًا، حزنًا وفرحةً.. وحانت مني الانطلاقة.. فتحت الباب وقد وجدت جسدًا يهوى أرضًا.. صرخت!!... وجدتُ الدماء تجتاز كل طريق من جسده.. بكَم رصاصة هو قد تم قنصه!؟ وبأي قوة قد تحمل كل هذا!! وكيف صبر والرصاص يتسابق إلى جسده يُريد أن يُكمل اللوحة الفنية التي أُطلقت من أسلحة العدو بكل مكر ودناءة!!

أردت أن أسعفه، ولكن بماذا!؟ وأي جُرح أضّمدُ قبل الآخر!؟ وجدته يُشير إليّ بأن أقترب، فاقتربت، وحثني أن أضع أذني قُرب فمه، كي اسمع كلماته التي تكاد تتحرر من تحت فكيه بأعجوبة، فانحنيت أرقُب أنفاسه بأذني، وبالكاد أسمع نبضًا يُصارع الرحيل، فقال بأنفاسٍ متقطعة تشوبها رائحة الموت:

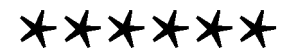
- "خذي عني سلاحي، وقاتلي! حان النصر، فلا أريد للإسلام وأهله سوى العزة والانتصار، والقتال ببسالة حتى آخر المشوار.. لا أريد لها المعيشة ثانية بهذا المرار.. وكفكفي دموعك بزى الحُرية بعد الانتصار، وتذكري يوم مولد الأوطان يوم أن هبّت آخذة القرار.. لترفع عن وجوهها علامات الذُل والانكسار.. ولتذكُرينا في دعائكِ بالأسحار.. وإن كُنتِ لنا تبعًا فهنيئًا لكِ بالجنة ونعم الدار.. هلُمي احملي عني سلاحي، وحثي السير نحو الإعمار.. وقاتلي حتى الجنة أو الانتصار.. وإياكِ أن تخرجي منها ذليلة النفس مُنكسةَ الرأس خلف رداء الجُبن والانهيار، فإما الجنةً أو الانتصار.. ارفعي هامتك وقاتلي فإن هذه أرضك، وهذا عدوك، وعار عليكِ أن يعبث بدارك مُغتصب حقير قال: "أنا الجبار".. حَمَلَتْ أرضنا دماء أخوتي، أليس لدمي حقُ بأن يُغار!!... ويثور مثلهم لعله يحظى برفقة الأبرار!!... انطلقي وحتمًا لنا لقاء.. وأنبئي من خلفك من القوم أن المسلمين يصبرون ويقنعون، لكنهم بالذل والمهانة لا يقبلون.. هذه أمة عربية ومن يقترب منها عليه أن يُجهز كفنهِ إن بقي له لدينا أشلاء"

انطلقت وأنا أحمل عنه السلاح، وبكل ما أوتيت من قوة أدافع عن وطني، بل هويتي، وعبراتي تروي الأرض كما الدماء، ليس حزنًا، بل فرحًا وكأني قد شعرت للتو بالقهر، وأخذ يتطاير الرصاص من هذا السلاح ليشُق صدر كل مُعتدٍ على أرض الإسلام، وكأني ألقنهم كلمات هذا الجندي الذي تركني

وذهب حيث رفقة الأبرار.. لأجدهم يسقطون أرضًا، ويشتد عنفي في حمل السلاح، أقاتل، وأقاتل، وأقاتل.. حتى سقطتُ.. والآن أدركت كيف تحمل هذا الجندي هذا الكم من الرصاص، شعرتُ بأن دوارًا قد لحق بي، وأخذت أتأرجح بين الحياة والموت، حتى ألقي جسدي صَريعًا جوار هذا الجندي.. وربما لم يحالفني الحظ بأن أجد من ألقنه الدرس، وأعيره كلمات رفيق الدرب.. أجد خيط الحياة يتضاءل أمام ناظري، ولا أدرى ماذا أفعل لتصل رسالتنا إليكم.. أدعوا الله أن تصل رسالتنا إليكم، ولكن كيف!؟... تلمست بأصابعي دمي الذي قد مُزج بدم هذا الجندي، وكتبت لكم.. "هويـــة وطـــن!"

*****

حب الوطن فطرة جُبلنا عليهـا، ولكن العطاء له وإن كان بالدم التضحية بكل غالٍ ونفيس لأجله هي اختيار، وليست فطرة، منا من يدفعها، ومنا من أستأثرها لنفسه، لذلك ظل الوطن متأرجحًا.. يموت ويحيا على إثر صدق نوايانا، بل وعطيتنا! فعلى قدر تضحيتك يكون شأن وطنك، وبه يكون شأنك!



كل شيء كما هو

مصطفى عوض الله

كل شيء كما هو.. لا جديد.. الرجل يجلس فى مكانه يضع إحدى قدميه فوق الأخرى، رث الثياب، في قدمه السفلى حذاء انتهكته أصابعه العملاقة، لتخرج من محتواه، وترفض العودة للأبد إلى سجن الحذاء البالي.. يمتد أمامه الكثير من الصحف اليومية، والمجلات الملونة التي ترتبط نشأتها بصلة قوية بثمانينيات القرن الماضي، لكنها ما زالت صامدة، ولم ترغب في الاختفاء.. كانت ذات تأثير قوي فيما مضى منذ عشرين سنة، حينما كان الرجل العجوز (الحاج شوقي) مكتمل الشباب، لكنها الآن أصبحت مشتتة بين الصحف، لا يقصدها أحدهم، يمكنك أن تقول أن نهايتها مقترنة شيئًا ما بنهاية ذلك العجوز.

الذين يمرون على أقدامهم سيراَ خلال هذا الكوبري يعرفون هذا الوجه المليء بالثنايا، ولكن قليلاً من يعرف هويته.. هو بائع الجرائد فقط ليس إلا.. يجلس على إحدى ضفاف الكوبري منذ جيل كامل، لا أحد يعلم متى جاء إلى هذا المكان، ومتى استوطن الحجرة التي تقبع بجانب الكتلة الخرسانية العملاقة التي تحمل رأس الكوبري... يجري جانبها ممر مائي.. وأعلى الكوبري الذي هو قنطرة الوصل لعدة مؤسسات حكومية تتجلى الصورة الحرفية للفئة الغالبة من المجتمع المصري، حيث يقع جانب فرش الصحف عربة فول نموذجية ملونة باللونين الأحمر والأصفر، كُتب عليها آية قرآنية، وكذلك اسم صاحبها. هكذا قد توفرت كل سبل الحياة.. الطعام

والماء والمأوى والهواء في أبسط صورها، لكنه اعتادها هكذا، فأصبحت لديه في أنسب صورها، والحمدلله على كل شيء.. تلك كانت صيغته الدائمة حينما يبادله أحدهم الحديث عن حياته.

كان اليوم طبيعيًا لا جديد فيه.. جاءته حصته من الصحف فجرًا.. قام إلى عربة الفول بعدما ملأت أشعة الشمس السماء لتمكنه من الرؤية.. وقف يتناول طبق الفول المخصوص الذي أعد بواسطة الصبي، تحت إشراف ووصاية من صاحب العربة، مع القليل من البصل واللفت، والجزر المملح، ثم فرغ من الفطور، و(شاور) لرفيق المنطقة الثالث القهوجي صاحب عربة القهوة المتنقلة ليعد له كوب الشاي (المضبوط)، حتى تكتمل الطقوس لبداية يوم نموذجي ممتلئ بالأحداث التي لا تنضب، والعناوين الحمراء، والمانشيتات العريضة عن تصريحات المسئولين، وفضائح الفنانين، ونتائج مباريات الأمس، والتساؤلات الدولية، وخلافها من الأخبار التي اعتاد رؤيتها، فلا يوجد لديه أي مصدر أخبار آخر سوى هذه الصحف، ثم مطابقته بما يحدث أمامه على ساحة الميدان، لذا يعتبر نفسه النموذج الحقيقي لرجل الشارع. أيضًا نفس الزبائن، ونفس الوجوه، ونفس السيارات التي سينخفض زجاج شباكها الأمامي ليتسلم صاحبها صحيفته، ويتسلم هو الجنيهين.

انتصف اليوم، وحل وقت ذروة البيع أثناء عودة الموظفين إلى بيوتهم.. ذلك المشهد الصاخب الذي يتكرر يوميًا.. سوف يقف الكثير يقرؤون العناوين، يجوبون الصفحات دون أن يأخذوا الصحيفة، كالذي يأكل ما على الأطباق دون أن يدفع ثمن ما تناول، ولكن بالرغم من هذا حدث نوع من الألفة بين (الحاج شوقي) وزبائنه سارقو (المانشيتات) ما سماه بالعشرة.. العشرة التي يمكن أن تؤلف بين السجين وجلاده، وتجعله يبكيه عند

فقدانه. بعدما هدأ السير، وقلت الأقدام، وشارف النهار على الانتهاء، وهمّ الرجل بالإغلاق، جاء إلى الفرش زبون جديد.. وجه شاب في منتصف العشرينيات.. كان الأمر غريبًا بعض الشيء، فليس من عادة الشباب الصغار أن يقفوا ليقرؤوا الصحف كما يفعل أغلبية زبائنه كبار السن والموظفين.. فما يسمع به، ويسمى أيضًا بالإنترنت أغناهم عن هذه العادة، لذا لم يخب ظنه حينما وقف الشاب برهة قصيرة من الزمن أمام الصحف، ثم مضى في طريقه إلى منتصف الكوبري من الناحية المقابلة للفرش.. عندها توقف، وأطال النظر نحو المجرى المائي يراقبه بحذر شديد.. ثم كانت المفاجأة..

"ما الذى سيفعله ذلك الشاب!؟ "

استطرد (الحاج شوقي) حائرًا عندما رأى الشاب يعبر من فوق سياج الكوبري، وقد وقف متشبثًا بكلتا يديه مركزًا بصره بقوة في المجرى المائي دون أن يتحرك..

ـ "ماذا تفعل عندك!؟"

نادى (الحاج شوقي) بغلظة، ونبرة قوية من الجهة الأخرى من الكوبري على الشاب، لكنه لم يستجب، بل إنه لم يكلف نفسه حتى أن ينظر إليه.. وفجأة.. انتفض (الحاج شوقي) من مكانه مهرولًا بعد أن تبعثر الفائض من الجرائد و المجلات من على قدميه نتيجة حركته السريعة متجهًا إلى الشاب الذي أفلت إحدى يديه، وأصبح بالكاد لا يفصله عن القفز في المجرى المائي الهائج سوى أن يترك يده الأخرى، ويقفز بقدميه من على كابلات الكهرباء التي يقف عليها.. لكن جزءًا من روحه لم يتخذ القرار بعد.

ـ "أيها الغبي اصعد من عندك قبل أن تسقط!"

قال (الحاج شوقي) موبخًا إياه بلهجة قوية، وقد بدا على وجهه التوتر والعصبية، ثم مد يده نحوه صائحًا:

ـ "أعطني يديك!"

ـ "إليك عني أيها العجوز"

رد الشاب بصوت رتيب هادئ، وقد اتجه ببصره نحوه.. في الحقيقة كانت تلك المرة الأولى منذ عقود التي يتحرك فيها قلب الرجل، ويرتعد بهذا الشكل.. بعد أن رأى عيني ذلك الشاب الغائرتين، وكم السواد الذي يمتد تحتهما.. هو لم يلحظهما عندما وقف أمام الفرش في المرة الأولى، لذا لم يستطع أن يخفي رجفته بعد أن أدرك أنه مقبل على الانتحار، ففي عيني هذا الشاب أعوام عديدة من الأسى تفوق عمر العجوز، لذا بعد أن تخطى تلك النظرة من عينيه هدأت نواجذه، ولملم قواه، ثم مد يديه إليه صائحًا:

ـ "فقط أعطني يدك قبل أن تسقط في الماء.. لا شيء في هذه الحياة يستحق أن تزهق روحك لأجله"

أشاح الشاب عينيه بعيدًا، وعاد ينظر إلى أمواج النهر المتلاطمة، وقد ردد بنفس رتابة الصوت، لكن بنبرة قوية.. أقوى مما سبق.. وقد انتهت بصراخ:

ـ "اذهب أيها العجوز.. فأنت لا تعلم شيئًا.. دعني وشأني.. حتى عندما أنوي الموت لا تدعونني وشأني.. فقط دعوني أرتاح!!"

ـ "لا راحة بعد الموت.. وما أنت مقبل على فعله لن يريحك في قبرك"

ـ "على الأقل لن يكون هناك ظلم ولا وساطة ولا محسوبية، سوف يكافأ المجتهد، ويعاقب الجاني.. أيها العجوز أرجوك دعني أنجح ولو في شيء واحد من حياتي البائسة!"

ـ "هذا ليس نجاحًا.. وإنما نهاية حزينة وبائسة.. بيدك أن تغير سطورها.. وتجعل حياتك مشرقة أكثر.. حياة الإنسان متغيرة، ولن تكون على وتيرة

ثابتة.. فالنهار يتبعه الليل، وأحلك الأوقات ظلمة يتبعها أكثرها إشراقًا.. حياتك لن تكون بائسة إلى الأبد.."

ـ "إنها كذلك، وستظل كذلك.. أنا لم أعش لحظة فرح واحدة!"

ارتجفت أطرافه... بدأت الدموع تنهمر على ذقنه الشوكية.. بدا منهارًا تمامًا، وعلى وجهه نظرة رجاء، ثم خارت قواه، وجلس على (الكيبلات) واضعًا وجهه بين كفيه، وبصوت متقطع أخذ يبكي بحرقة كأنما فقد عزيزًا في حرب دموية.. وقتها تيقن الرجل العجوز أن هذا الشاب هو ضحية (المصروفوبيا).. ذلك المرض الذي يصاب به أغلب شباب مصر هذا العصر.. هي حالة مرضية يعاني فيها الشاب المصري من اكتئاب حاد ومزمن نتيجة إحساس داخلي بالفشل اللامنتهي، وعدم التقدم، والإنجاز، بالإضافة إلى الكثير والكثير من الظلم، وقد تنتهي في أسوء الحالات إلى ما أقبل عليه ذلك الشاب البائس، وهو الانتحار.

ـ "ما اسمك!؟"

سأله (الحاج شوقي) بعد أن استند بذراعيه على سياج الكوبري، ووجّه بصره بعيدًا عن الشاب.. أراد أن يغير من طابع الحديث بينهما، ليكسب وقتًا حتى يأخذ بيديه لمرة واحدة أخيرة عسى أن يغير من رأيه.

غمغم الشاب بصوت متهدج بعد أن أفرغ من البكاء، ودون أن يعير انتباهه إلى السؤال ردَّ قائلًا:

ـ "لا يهم.. لن يفيد أن تعرف اسمي.. البطاقة في جيبي.. لا تقلق سيستدلون على جثتي بسهولة.. فقط دعني أفعلها.. وإن اقتربت أكثر سوف ألقي بنفسي دون تردد"

تغيرت ملامح الرجل العجوز، وأصبحت أكثر حزم، وقال:

ـ "أنا لن أمنعك.. هيا اقفز.. من أنت ليحزن عليك أحدهم!؟ إن كان لك أم أو أب أو أخ.. مثلك لا يستحق أن نحزن عليه.. أنت لا شيء.. حتى الآن أنت لا شيء.. لكن بيدك تستطيع أن تكون شيئًا.. لن أوجه لك النصائح المفرغة من معناها، فلا شك أنك امتلئت بها، والواضح أنها لم تؤثر فيك قيد أنملة... في الماضي كنا..."

صرخ الشاب مقاطعًا:

ـ "كنتم تعملون في الجهات الحكومية بعد التخرج مباشرة.. كنتم تتزوجون بأقل التكاليف.. كنتم منعمين بأرخص الأسعار.. كانت الوظيفة دون محسوبية أو وساطة.. كانت حياتكم سهلة، وما زلت حياتكم سهلة.. أين نحن من الماضي.. ليتني ولدت في الماضي"

وقف (الحاج شوقي) شاخصًا إثر صراخ الشاب، ثم صمت برهة من الزمن، وأخذ نفسَا عميقًا، ثم ردَّ متسائلًا:

ـ "إذن ماذا!؟ أنت لم تولد في الماضي.. شاءت الأقدار أن توجد في هذا الزمن، وهذه الظروف، وأن تعيش في هذا العصر.. أنا لن أجادلك.. أنا أرى أمامي شخصًا استسلم لطغيان الفشل.. هل نسيت أن مع العسر يسرَا!؟ وأن مع الضيق يأتي الفرج!؟ مهما كانت حكايتك أتمنى ألا يكون هذا آخر فصولها.. دعك من هذا الخبال الذي أنت مقدم عليه.. هيا انهض واستثمر ما تبقى لديك من حياتك.. أما أنا فسأذهب، وإن أردت أنت تفعلها فتأكد أنني لن أقفز خلفك.. فلا طاقة ترجى من رجل عجوز مثلي"

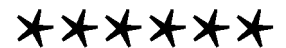
كان الليل قد أحكم قبضته على السماء، وانتشرت السحب الثقال منذرة بليلة عاصفة وممطرة.. الطريق خاوٍ تمامًا من المارة والسيارات.. اتجه (الحاج شوقي) إلى الفرش في الجهة المقابلة من الكوبري، فلملم أشياءه، ومضى إلى مبيته.. تاركًا الشاب على حالته دون أن يعرف نواياه.. فبعد أن

انخمدت حرارة الحديث بينهما أحس الرجل العجوز بالصقيع يسري إلى أوصاله، فتركه في مكانه، وبداخله جزء من الاطمئنان والرضا لأنه قد أسدى إليه النصيحة.. هذا أقصى ما يستطيع أن يقوم به كهل في سنه.. إسداء النصح.. أما الآن فهي قضيته وقراره.. إما أن ينهي حياته.. أو يأخذ بالنصيحة، وينهض من جديد.. وتمنى من أعماق قلبه أن يكون اختياره الاختيار الثاني.

مرت خمس سنوات منذ هذه الليلة.. كل شيء كما هو.. لا جديد.. الرجل يجلس في مكانه المعتاد يضع إحدى قدميه فوق الأخرى.. يمتد أمامه الكثير من الصحف اليومية، والمجلات الملونة، لكنه لحظ بعينيه الضعيفتين من تحت عويناته السميكة (مانشيتًا) عريضًا في إحدى الصحف.. كان عنوانه.. "في لقاء صحفي مع الشاب رجل الأعمال الناجح.. يسرد قصته، ويقول: "كلمات (الحاج شوقي) شمس لن تغيب عن حياتي"".

من فوره انتشل الجريدة، وأخذ يقرأ المقال في تمعن، ثم استند بكرسيه إلى الخلف، وربت على بطنه، ثم ابتسم قائلًا بصوت خافت:

ـ "ليكن...."



لماذا انتحرت فاطمة؟

هبة مصطفى

اشتعلت الحرب الأهلية في بلادها، فمات من مات، وتشرد من تشرد، وفر من فر، وكانت هي من الفارين.. لجأت لإحدى صديقاتها في إحدى البلاد العربية.. عاشت معها فترة من الوقت ليس قليلة، حتى عرفها أهل الحي، وأصبحت واحدة منهم.

كانت فاطمة رائعة الجمال، وكان عدد المتقدمين لخطبتها ليس بالقليل، ولكنها دائمًا ما كانت ترفض، وخاصة بعد أن أصبحت تعمل لدى والد صديقتها، واستقلت بنفسها في سكنها الخاص، وإن كان شديد القرب من منزل صديقتها، ولكنها لم تعد عالة على أحد.

ظلت على هذه الحالة حتى طلب والد صديقتها منها الزواج، وكالعادة رفضت بأدبها المعتاد، ووجهها البشوش، ولكنه هددها أنها إن لم توافق فسيقوم بفصلها من العمل، وكذلك طردها من سكنها، بل وسيسعى جاهدًا على أن يرحلها من بلده، لتعود إلى الموت في بلدها المدمر.

عادت (فاطمة) إلى منزلها حائرة.. مهمومة.. تعلم أن نفوذه قد يوصله حقًا لما هدد به.. وتعلم كم هو عنيد، بل ولديه من المكر والدهاء ما يجعله ينفذ تهديده.. أين تذهب!؟ وماذا تفعل!؟

ـ "لم أطلب سوى الأمن والأمان ولم أجد منهما شيئًا!!"

لجأت لصديقتها، فوجدتها ترحب كثيراً بالفكرة!! بل ومندهشة من رفضها، وكأنها تريد أن تقول لها: "كيف لمثلك أن ترفض من هو مثل أبي!!؟"

حكت لها عن خطيبها الذي لا تعرف عنه شيئًا منذ كانت في بلدها، وأنها تنتظره، فقد تركت له عنوانها مع كثير من أهل بلدهم.

ضحكت، وقالت:

ـ "وهل بقي أحد مازال حيًا هناك!!؟؟ فلتعيشي حياتك، وحافظي على ما قدمه لك والدي، فأنت لا تعرفين كيف هو إن قرر إيذاء أحد!!؟"

في المساء.. حضرت حقيبتها الصغيرة، وقررت الهرب من منزل هذا المريض لمكان أكثر أمان.. نزلت فوجدت البوابة الحديدية مغلقة، وهي لا تمتلك لها مفتاحًا.. بروح مكسورة صعدت إلى شقتها، وأقفلتها في استسلام.. فوجدته في الداخل ينتظرها!

ـ "ماذا تفعل هنا؟"

ـ "هذا بيتي.. وكل ما فيه ملكي"

ـ "ولكني استأجرته منك!"

ـ "وتركته منذ دقائق.. فأصبح لي من جديد"

ـ "إذن اسمح لي بالذهاب.. وافتح لي البوابة الحديدية!"

ـ "ليس قبل أن تسددي دينك"

لم يُجدِ توسلها، ولم تهزه دموعها وصرخاتها.. أخذ ما يريد، ورحل.. تركها في حالة ذهول مما حدث.. كيف لرجل بقدره ومكانته أن يفعل ما فعله!!؟ ماذا ترك لعديمي الضمير الجهلاء!!؟

ـ "هل هربت من الموت لأواجه هذا!!؟؟ هذه حياة لا تستحق حقًا أن أعيشها.. تلوثت (فاطمة) التي أعرفها.. ضاعت طهارتها، وتنجس جسدها.. هذه الـ(فاطمة) أنا لا أعرفها، ولا أريدها.."

تحركت ببطء شديد إلى المطبخ.. أخرجت سكينًا حادًا، وقطعت شرايينها بقوة.

في الصباح اكتشف الجميع ما حدث.. اكتشفوا ما فُعل بها، والذي كان سببَا لانتحارها.. بل وتوقعوا من الجاني.. اكتشفوا انتحارها، وعرفوا سببه، ومع ذلك مازال الجميع يتساءل...

"لماذا انتحرت (فاطمة)!!!؟"

فمن يجرؤ على اتهام هذا الرجل -ذو السلطة والنفوذ- بفعل كهذا!!؟

******

الفتاة المجنونة

رحمة أنور

كل من يعرفها يطلق عليها هذا اللقب، ولا تدري لماذا، إلا أنها قد اقتنعت أن هذا اللقب ليس لعدم سلامة قواها العقلية، بل لأنها تعيش حياتها كما تراها وتريدها، وهذا بالنسبة للبشر يعد من الجنون، وبالتالي هي مجنونة. ولكن هذا الجنون يا سادة بالطبع ليس وليد اللحظة أو الصدفة، فقد اكتشفت هذا الأمر في آخر زيارة قامت بها إلى بيت جدها الريفي في تلك القرية الصغيرة البعيدة عن ضجيج العاصمة، ولكن في هذه الرحلة الأخيرة أدركت أيضًا مدى التغيير الذي طرأ على القرية، وإلى أي مدى تشابهت مع العاصمة، والتغيير الذي طرأ على المنازل في محيط منزل جدها. حينها أدركت أن الزمن قد مر سريعًا، ولم يترك من حنين الماضي سوى هذا المنزل القديم المليء بالذكريات، والدفء العجيب، والراحة التي تملؤه حين تخطو إلى داخله، وإحساسها بأشباح الماضي ترحب بها، وتبتسم لها في حنان وصمت، ومرور تلك الصور أمام عينيها في لحظات جعلها تدرك كم كانت مجرد فتاة عادية وتقليدية جدًا، حيث أنها كانت تسمع الكلام دون نقاش، وتجتهد في تنفيذ الأوامر الموجهة لها دون أدنى اعتراض، وتحترم كل من ينتقدها حتى إن لم يكن هذا النقد له فائدة إلا لمجرد النقد. فالكل كان يتنبأ لها بأنها ستكون مثال رائعًا للفتاة التقليدية التي ترضى بما يُجاد عليها به. تذكرت كل هذا الكلام وهي تدخل إلى المنزل، فنفضت عنها كلام الماضي، وأتممت مراسم الترحيب، وانتعشت قليلًا. ثم جلست مع العائلة

التي كانت في يوم ما تراهم كآلهة أو ملائكة يخطون على الأرض.. فاض بها الكلام، فتسللت إلى سطح المنزل كالعادة حينما تريد الاختلاء بنفسها.. كما اعتادت قامت بالاستلقاء على ظهرها في مكانها المفضل، ونظرت إلى سماء الليل الصافية الزرقة المرصعة بالنجوم تتأمل في صمت جمال الله في صنعه، ولكن أدركت أنها لأول مرة ترى اختلافًا عن كل مرة تتأمل فيها النجوم.. كانت تشعر بإحساس لم تعتد أن تشعر به.. إحساس بالاختلاف أو بالغربة أو الاشتياق أو الحنين.. لا تعرف ماهية هذا الشعور على وجه التحديد سوى أنها تغيرت.. لم تعد كما كانت.

اشتاقت لروح كانت تساعدها على مواجهة العالم.. روح كانت تجعلها الأقوى بين نساء هذه المجرة، أو غيرها من عوالم ما زالت لم تكتشف بعد.. بموت هذه الروح انكسرت، وأحست بالضعف والخذلان، فبفقدانه فقدت الصديق والأخ والأب والسند في مواجهة هذه الحياة المقيتة. كم تمنت أن تعود في الزمن لكي تستطيع وداعه كما يجب، أو أن تقوم بالتمهيد لهذا الفراق الأبدي، ولكنها أخذت على حين غرة، ولم تستطيع حتى أن تحزن كما يجب، فكانت هذه اللحظات بداية الثورة والتمرد، وأصبح عقلها طاعنًا في السن وهي ما زالت في ريعان الشباب، فكانت الصحوة الأولى.

ثم تذكرت ذلك الحب الأول الذي طلما عاشت تحلم به كروايات الأميرات في قديم الزمن، حينما عثرت عليه وشعرت بأن آلامها وجراحها قد آن الأوان لكي تنساها، وتعيش بكل جوارحها في هذا الحب الذي طالما تمنته، والذي استعمر قلبها بهدوء وبطء، وأصبحت أسيرة له رغم إرداتها، وأصبحت لا تتنفس إلا عشقًا، ولا ينبض قلبها إلا هاتفًا باسمه، ولا تنام إلا بعد الاطمئنان عليه، وسماع صوته، ولا تفرح إلا لفرحه، ولا تحزن إلا لحزنه.. تطير فرحًا لرؤيته، وتصبح كالجثة الهامدة في بُعده عنها، فأصبحت

حياتها محورها هو، أو أنه الروح التي تسكن بداخل جسدها. يجعلها بكلمة تلمس السماء، أو تذوب عشقًا من لمسة يديه. فعاشت أجمل السنوات في انتظار أن يتوج هذا الحب بمراسم الزواج، ولكن هيهات أن يمن عليها الزمان بمثل هذه السعادة دونما أن يضع أمامها العراقيل واحدة تلو الأخرى، حتى أتى الوقت الذي شعرت فيه بعدم الاهتمام من حب حياتها، وأصابته بالبرود والتجاهل، فكانت تكذب حدسها، وتقول أنها مجرد أوهام حتى أتى اليوم الموعود، وقال لها بكل صراحة يجب علينا الافتراق.. كمن أصابته صاعقة من السماء لم تستوعب ماذا قال.. اتهمته بالمزاح حد الجنون.. "كيف لك أن تنطق مثل هذا الكلام اللامعقول؟".. إلا أنه أصر على الابتعاد، فلم يكن منها سوى أنها لملمت ما تبقى من كرامتها وكبريائها، ورحلت في صمت وانكسار.

وللمرة الثانية في سنوات عمرها القصيرة تشعر بالانكسار والضعف والخذلان، فقدت الحب الذي لطالما بحثت عنه، وفقدت الأمان.

والثقة المفرطة في طبع الزمان قد علمتها ألا تطمئن أبدًا إذا بدت لها السعادة دهراً، ففي لحظات تنقلب موازين الحياة.. في لحظة تكون السعادة، وفي لحظة يكون الفراق.

وبعد أيام من التعافي، وعلاج جراحها اتخذت قرارًا مصيريًا، وأقسمت بقلبها المجروح ألا تعود إلى الضعف والاستكانة والانكسار، ولا تثق بأحد ثانية حد الجنون، وألا تجعل حياتها رجلًا تدور في فلكه، أو أن ترضى بما يُفرض عليها.. أقسمت على ألا تعود إلى تلك الفتاة مرة أخرى.. تلك المعلوم مسبقًا طريق حياتها، وطريقة عيشها.

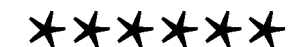
اتخذت القرار، وعادت شخصًا آخر واثقًا بنفسه، يعيش حياته بكل ما فيها من سعادة وحزن، من تفاؤل ويأس، أصبحت تعيش كل لحظة بلحظة

لأقصى حد، لأنها لن تأمن ثانية لغدر الزمن، ولا تعرف متى سيسرق منها تلك اللحظات.. فكان القرار بالتمرد، ومخالفة العادات والتقاليد.. تخوض المناقاشات، وتتخذ القرارت.. تواجه قسوة الغد بابتسامة فائز واثق من كسب التحدي، وحرية عصفور طليق في السماء.

أخذت تتذكر كل تلك الأحداث التي مرت عليها في خلال بضع من السنوات، وجعلتها تشعر بهذا الشعور الغريب من الحنين والاشتياق إلى الماضي، مع الكبرياء والعناد والقوة من الحاضر الذي لم تكن تعلم عنه أثناء تلك السنوات الغابرة. وخانتها دمعة جرت على خدها، لا تعلم لماذا جرت تلك الدمعة سوى أنها شعرت بالراحة مع نزولها.

نظرت إلى البيت القديم، وإلى السماء الساطعة بنجومها وزرقتها، وأدركت أنها حقًا فتاة مجنونة، لتمردها وثورتها على كل المعتاد، بالتالي كان يجب عليهم محاربة هذا الجنون، ولكنها لم تعد كما كانت، بل استطاعت التصدي لهم ولأفكارهم، وربحت الحرب بمباركة أشباح الماضي التي لطالما استقوت بهم على قسوة الحياة، وعلموها أن الحياة لا تعطي متخاذلًا، ولا تنصر ضعيفًا.

ابتسمت، وودعت هؤلاء الأشباح في صمت، فإنها اليوم أثبتت حقًا أنها كما يطلقون عليها.. "الفتاة المجنونة".. فهي في الأخير تنكسر، وتعود للملمة أشلائها، وتعود أقوى مما كانت عليه. فهي مثل هذا المنزل صامدة تعطي الدفء والراحة للمرحب بهم، وتطلق الأشباح على غير المرغوب فيهم.. فهي العاقلة المجنونة، والمجنونة العاقلة.



توسلات يائسة

أحمد سامي

الجو حار، العرق غزير، أرى الدنيا كما لم أرها من قبل، إنه اليوم.. "ما تلك الكائنات!؟ من هؤلاء!؟... ما هذا المكان؟"... قلتها بصوت جهور عالٍ ممزوج بصرخات من يزجون مسلسلين إلى هاوية سوداء لا قرار لها، وضحكات من يبتسمون منتشين بأنوار خضرة أشجار، وزروع مكان لا أظنني سأصل اليه.

أجذبُ من يدي لأقف أمام من لا يوصف أو يشبه بشيء، إنه الله، خالق السماوات والأرض، رافع السماوات بلا عمد، وعلى وجهي أقصى آيات الضعف والألم، إنه دوري إذن، اطلب الرحمة!

ـ "إطعام مسكين؟ زنا، مساعدة محتاج، قتل، عطاء، كره"

كلمات ينطق بها رقيب وعتيد ملاكيَّ الكاتبان، متناوبا الأدوار في حصر ما اقترفته يداي، وشاهدته عيني، وسمعته أذني، وقاله لساني، وفعله جسدي. ذلك الجسد الذي إذا توقع هذا لتمنى الفناء. تفرحني تارة، وتحزنني تارة، ترجعني إلى طفولة أسعد عند تذكر لحظاتها البريئة، ونكاتها الطريفة، وضحكاتها النقية غير المثقلة بأعباء الحياة، و ما الحياة إلا جبل آلام ليس بالإمكان تصديعه. وأحزن عندما أتذكر شبابي، وما آل إليه حالي بعد الجزم بعدم وجود حياة إلا بالخطأ والحرام، الحرام حلال، والخطأ صواب، هكذا كانت الدنيا التي أعرفها.

أذكر (عم محمد)، أذكر حلواه طيبة المذاق، أذكر دفء دموع أمي على جبهتي التي احمرت من شدة حرارتي يوم إصابتي بالحمى إثر الوجبة المدرسية الفاسدة، أذكر (أستاذ محسن)، لكم كان حنونًا، كان يقربني إليه، لكم كان حنونًا علي حتى في اعتصاره لضلوعي بيديه الشبقتين بعد المدرسة كل يوم. أذكر (ندى)، تلك الفتاة التي لطالما أحببتها، وبنيت لها قصوراً في خيالي لنقضي فيها أيامنا. أذكر (محمد) زميلي في العمل، ذلك المنافق المتملق لذلك المدير السمج ذو المؤخرة المكتنزة، لا زلت أشعر بسخونة دمائه على يديّ، كان يستحق الموت، فلينعم به مالك خازن النار، وليجعله وقودًا مستساغًا لنيرانه التي لا تخمد.

"صدق، خيانة، كذب، حب".. كلمات تقال في نبرات صاخبة مضعفة ضحكات المنتشين، معززة صرخات المتسلسلين، ألن ينتهي هذا!؟ الجو يزداد حرارة، لا أحد يهتم بمصير أحد، الأخ لا يعرف أخاه، الأهل لا يعبؤون بأولادهم، أغرق في عرقي، ما هذا!؟ إنني عارٍ! كلهم عراة! أيام، شهور، سنين تمر، وتروى علي فيها أحداث ومواقف عاصرتها، أو بصحيح العبارة عاصرتها أعضائي، لساني، أذني، يداي. يتكلمون، يروون أفعالًا، يبلغون أخبارًا، يفضحونني دون هوادة، يجعلونني أتمنى أن لم أولد من الأصل.

تنتهي شهادتهم على مجرم سبق وحُكم عليه بالعذاب الأبدي رمياً في نيران لا ترحم ماكثها، مسلمة إياي إلى ملائكة حاملين كتباً كبيرة بيضاء يسطرون فيها كلاماً لا أعلمه، ناظرين إلي في كره وغضب.

"ماذا فعلت بمالك؟"

تقال بصوت عالٍ تخشع له الجبال متصدعة، صورة المعلم (حسنين) تاجر المخدرات.. تتكون أمامي من العدم، وهو يحصي إيراده اليومي في شراهة.

"ماذا فعلت بعمرك؟"

الملاهي الليلية، العاهرات، الخمر، موبقاتي تمر أمامي كومضات زمنية سريعة.

"ماذا فعلت بجسدك؟"

أصدقائي، العراك، أيامي في المشفى.. أتجرع غصص الألم والحسرة، أراها أمامي رَأيَ العين.

"ماذا فعلت بعلمك"

هرعي إلى سور المدرسة، واجتيازه إلى الشارع كي لا يلاحظني أحد، كسري ليد معلمي حينما سبّني، ضياع مستقبلي، وصوت أبي يخترق أذنيّ فجأة..

"أنت فاشل! أنت فاشل!"

أنهار متحسراَ على ما مضى في دنيا تجعل من رجل الدين مدنِسًا له، نادمًا على عمر ولّى دون فائدة ترجى، تطاير مثل حبيبات الثرى وسط أعاصير الحياة المؤلمة. يُنفخ في بوق كبير، ثم يلتحف ضوء الشمس الحارق برداء من صحف كبيرة، نعم إنها تشبه الكتب التي كانوا يسطرون فيها منذ قليل، تتهاوى على الناس آملين أن يجدوا فيها خلاصًا لمعاناتهم، آلاف السنين ليست بالمدة القصيرة وأنت تعاصر هذا كله! الفرح يرسم بسمته على وجوه البعض، والحزن يجثم بمرارته على البعض الآخر، أنتظر سقوطها، أحاول رفع يدي اليمنى لالتقاطها، لكن دون جدوى، لا أستطيع، شُلت يدي!، يا لي من بائس!! تتحرك يدي اليسرى لتطبق عليها، فتجدها ساخنة تصلِ أناملها، فتسقطها على الأرض، مسقطة معها كل ما تبقى لي من أمل في النجاة.

يُنفخ في البوق ثانية، فأسَلسل من أطرافي بسلاسل دائرية مدببة حمراء من لهب نيران، مستعرة تقتلع روحي مع كل ثانية تمر، أُسحلُ على أرض يابسة

متشققة، تخرج منها أفاعٍ تبخ سمًا حارًا يذيب جلدي، أقذفُ في قاع حفرة سوداء قاتمة ليس فيها إلا العذاب، العذاب فقط!

"إنك لماكث"

قالها الذي قذفني بعد أن رمقني بنظرة حمراء لا تُنبىء إلا بحياة مقيتة، قبل أن يرحل ليجلب آخرين يؤنسون أحزاني، لا أرى إلا أناسًا مشوهين، فنت أجسادهم فلم يبق منها إلا عظام كساها جلد لزج مهترئ، ينظرون إلي مفرجين عن ابتسامات لم تضف على الأرض إلا بقايا جلد وجوههم النحيلة، أتعلم أن في الجحيم نعيمًا أيضًا!!!؟

أتصدق أننا نموت ونُحيا يوميًا، لا نُحيَا لكي نُكمل، نُحيَا لنموت ثانية، نُحيَا لكي يطول عذابنا، نحن هنا نرى البهجة أيضًا، نراها في أنهار من حمم سوداء متفحمة، نراها في طعامنا المسموم، وشمسنا الحارقة، كل يوم أرى والديّ في الأعلى، ودموعهما تتساقط على أرضي متحولة إلى بخار لا يزيد حفرتي إلا حرارة، داعين المولى الصفح عني.. مكررين إليه توسلاتي، توسلات يائسة.



النوايا الشريرة

سهى رباح

فزع الجميع بعد أن انهار أمامهم في الحفل الصاخب الذي كان يقيمه في منزله احتفالًا بعيد ميلاده السابع والعشرين. كان يعلم أنه مصاب بالكبد، وأخبره الأطباء أنه ليس بالأمر الجلل الذي لا يمكن للأدوية أن تصلحه، وبرغم نصائح أخيه له بأن يقلع عن التدخين لم يهتم، فهو لم يعتقد أن حالته ستتدهور بتلك السرعة. لحسن حظه أن أخاه (أحمد) كان لا يزال بالحفل، ولم يذهب إلى المستشفى بعد، فسارع به إلى المشفى، واتجه به إلى غرفة الطوارئ على الفور في محاولة لإنقاذ حياته.

بينما وقفت حبيبته (نور) في الخارج تنتظر في خوف ورعب شديد، فهما يحبان بعضهما منذ خمس سنوات، تعلقت به (نور) بعد وفاة والديها كثيراَ، لا يوجد في حياتها غيره، ولا تريد أن يكون، فقد احتل حياتها بكاملها، فكانت دومًا بجانبه لا تفارقه أبدًا على أمل أن يقرر ميعاد زواجهما قريباَ لكنها حتى لم تحدثه في الأمر خوفًا من أن يتركها، أما هو اعتاد أن يكون حوله الجميع. محبوب من زملائه وأقرانه، لديه العديد من الأصدقاء والصديقات. بينما هي تسير في ظله منذ أن عرفته كفتاة صغيرة تتعلق بأبيها، ولا تتخيل أن تفقده.

ظلت تسير جيئة وذهابًا من فرط توترها.. رأت (لمياء) صديقتها وخطيبة (أحمد) تتجه نحوها.

"(نور).. ماذا حدث؟"

تساءلت، عندما أجابتها (نور) مختنقة بدموعها:

"كنا في الحفل عندما فقد وعيه، أحضره (أحمد) إلى المشفى لإجراء فحوصات، ولا أعلم ماذا يحدث في الداخل، أنا حقًا خائفة"

قالت ودموعها تنزل بغزارة، فاقتربت (لمياء) منها، وربتت على كتفها محاولة تهدئتها.. أخبرتها أن (أحمد) جراح ممتاز، ولن يترك حياة أخيه في خطر، وسيبذل كلاهما كل ما في وسعه، وهي أيضًا ستكون بجواره.

تركتها (لمياء)، ودخلت قلقة جدًا، فهي تعلم حالة (سامر)، لكن لم تظن أنها ستتدهور بتلك السرعة، اندهشت لرؤية (أحمد) يتعامل بمهنية شديدة، كأن المريض لا يعنيه، لطالما حسده الجميع على هدوءه في أحلك الظروف، وليس هنالك أحلك من هذا الظرف الآن.. اتجهت نحوه.

"دكتور.. ماذا حدث؟"

سألت، عندما أجابها:

"ليس خيراَ على الإطلاق.. الكبد متضرر بشكل كبير، وقد انتشر التليف بسرعة.. الحالة تتدهور بسرعة شديدة، وعلينا أن نجد متبرعًا في أسرع وقت ممكن"

بالرغم من نبرة الهدوء بكلامه، لكن (لمياء) تعرف جيدًا نظرة الخوف والرعب بعينيه، شعرت بالشفقة عليه، فأحيانًا علمك بخطورة الموقف أسوأ من جهلك به، أحيانًا تكون المعرفة مؤلمة حقًا، فهو يعرف حالة أخيه جيدًا، لا أمل أن يكذب عليه أحد، ويخبره أنه ليس بالأمر الجلل، وأن الأمور تحت السيطرة، هو يعلم جيدًا أنها ليست كذلك.

خرجا من الغرفة وتركاه، ليجدا (نور) في انتظارهم في ترقب:

"ماذا حدث؟"

تساءلت عندما أخبراها بكل شيء.. لم تستطع حبس دموعها، وطلبت رؤيته، وبالفعل سمح لها (أحمد) بالدخول، وجلست بجانبه تمسح على شعره. بينما هو غائب عن الوعي تمامًا، لكنها أرادت أن تكون بجواره.. وجوده أمامها يُشعرها بالأمان، بدأ يفتح عينيه ببطء عندما مسحت (نور) دموعها، ونظرت إليه وهي تبتسم:

"كيف حالك؟"

سألته، عندما ابتسم إليها، وقال بمزاحه المعتاد:

"مقبل على الموت"

أمسكت بيده بقوة:

"لا تتحدث هكذا ستكون بخير، أعدك بذلك"

ابتسم إليها بإرهاق، عندما مازحته:

"لا تحاول التملص من وعدك لي بأن نذهب إلى باريس بعد زواجنا، فأنا أحزم أمتعتي من الآن"

قالت بابتسامة تخفى دموع عينيها عندما ربت على خدها بحنان.

"أنا آسف"

نظرت إليه مضطربة، لمَ يعتذر إليها الآن كأنه يودعها!؟... لم تجادله أو تسأله لمَ يعتذر!؟ فكل مخاوفها منصبة على فقدها له.. ذاك الفقدان الذي لن تتحمله أبدًا.

مرت الساعات ولا جديد، كان (أحمد) في مكتبه يتناقش مع (لمياء) في وضع أخيه الذي يتعقد بمرور الوقت.

"ربما علينا أن نحاول ببعض الأدوية مجددًا"

اقترحت (لمياء)، عندما هز رأسه رافضًا لفكرتها، قبل أن يجيب:

"جسده لا يستجيب إلى أي منها، علينا إجراء الجراحة وبسرعة"

أنهى جملته، ليسمعا طرقًا على الباب، ثم دخلت (نور) إليهم، وقفت صامتة وهم يخبرونها بما يحدث، شعرت أن الدنيا تدور بها.. كيف يمكن لهذا أن يحدث!؟

"هل يمكنك تفقد قائمة المتبرعين مرة أخرى؟"

سألت (لمياء) كأنها ترجوها.

"لقد فعلت، لكن لا جديد، وراسلت بعض المستشفيات الأخرى، لكن الوقت يداهمنا"

أخبرتها (لمياء)، عندما قررت (نور) اتخاذ قرارها.

"أنا أعلم أن الإنسان يمكنه أن يحيا بنصف كبد فقط"

أخبرتهم، عندما أومأ (أحمد) برأسه.

"نعم، لكن كبده متضرر بدرجة كبيرة، و...."

قاطعته (نور):

"أنا لا أتحدث عنه، بل عني أنا، أنا من سيتبرع له"

أخبرتهم، ليتنفس (أحمد) الصعداء، وتهللت أساريره.. ها هي تمنحه فرصة لإنقاذ أخيه، بعد أن أغلقت جميع الأبواب بوجهه. حتى فكرة أن يتبرع هو له لم تجدي عندما حاول، أثبتت التحاليل أنه غير متوافق معه، ربما كونهما أخوين غير شقيقين كان السبب، لكنه كان يعتني به منذ أن كان صغيراَ رغم كل الظروف. أما (لمياء) فقد نظرت إليها متفاجئة من قرارها.

"لكنها عملية خطيرة جدًا"

أخبرتها (لمياء)، عندما نظرت إليهم (نور) بإصرار.

"لا يهم، لا يمكنني أن أقف عاجزة وأشاهده يصارع الموت، لا يهم إن انتزعت قلبي، وأعطيته له.. إنها لفكرة أيسر علي من أن أفقده"

قالت (نور) عازمة على إنقاذه.

"سأعمل على تجهيز كل شيء"

أخبرها (أحمد)، وأومأت إليه برأسها.

"وأنا سأبقى بجواره"

قالت قبل أن تنصرف.

التفتت (لمياء) إلى (أحمد) غاضبة.

"كيف أمكنك أن تفعل هذا؟"

تساءلت بحنق، عندما أجابها بهدوء.

"علي أن أنقذ حياته"

أغضبها أنه يتظاهر بجهله لما تعنيه.

"لكنك تعلم أنه كان يخطط لتركها، لم يحبها حقًا كما أوهمها، كان سيخطب فتاة أخرى الشهر القادم، (نور) ليست سوى لعبة في يده، يبقيها بجواره كمن يربي قطة أليفة.. لطالما أخبرك بذلك، عليك إخبارها بكل شيء، فلتعلم حقيقة مشاعره نحوها، ثم لتقرر هي ما تشاء"

قالت (لمياء) غاضبة منه، كيف له أن يستغل مشاعر تلك الفتاة تجاه أخيه في دفعها نحو قرار قد يكلفها حياتها.

"ألا يمكنها إنقاذ حياته إلا إن كانا سيتزوجا؟"

سألها مستنكرًا.

"إن لم تعني له شيئًا كيف تضحي بحياتها من أجل شخص لم يردها أن تكون جزءًا من حياته؟"

صاحت غاضبة، عندما وجه سؤالًا إليها جعلها تصمت:

"ماذا إن انفصلنا، وتركنا بعضنا، وكنت أنتِ الوحيدة القادرة على إنقاذي، لن تفعليها لأنني تركتك!؟"

نظرت إليه وهي تفكر، قبل أن تجيب:

"من حقها أن تعلم الحقيقة كاملة، لتقرر بنفسها، لا أن يقرر عنها أي أحد"

أخبرته قبل أن تتوجه إلى الباب لتنصرف، عندما أوقفتها كلماته:

"مهمتي الوحيدة هي إنقاذ حياته، إن أخبرتها بأي شيء يجعلها تتراجع، فما بيننا سينتهي للأبد، وتذكري.. أنتِ طبيبة، لا يمكنك أن تفشي أسرار المرضى"

أخبرها قبل أن ينصرف هو إلى خارج المكتب، ويتركها حائرة.

جلست (نور) بجوار (سامر)، عندما دخلت (لمياء) لتخبرها أن عليها أن تنصرف مع الممرضات، لتتحضر من أجل الجراحة.

"هل أنتِ واثقة مما أنتِ مقدمة عليه؟"

سألتها، فأجابت:

"ليس لدي خيار آخر"

قالت باستسلام، عندما تنهدت (لمياء).

"جميعنا لدينا خيار.. فقط تأكدي من أنه يستحق"

عندها نظرت (نور) إلى (سامر)، ثم أعادت نظرها إلى (لمياء)، وغادرت لتتحضر للجراحة. بينما اتجهت (لمياء) إلى سرير (سامر) الذي فتح عينيه، ونظر إليها وهي تتفقد المحلول المعلق بيده.

"هل ما سمعته صحيح!؟ (نور) هي من ستتبرع لي!؟"

أومأت (لمياء) برأسها، ثم سألته:

"لِمَ كنت ستتركها؟"

شرد قليلًا يفكر في السنوات الماضية التي تلاعب بها بمشاعر (نور) تلك الساذجة البريئة التي ترى فيه أمانًا وحماية، وهو لم يكن لها كذلك.

"لم أحبها يومًا.. فقط كلما نظرت في عينيها كنت أرى انعكاس صورتي بها، أعجبتنى نظرات الإعجاب التي ترمقني بها.... كان الأمر يروق لي"

نظرت إليه (لمياء) غاضبة.

"ربما عليها أن تعلم بذلك قبل أن تدفع حياتها ثمنًا لسذاجتها وثقتها بك"

أخبرته قبل أن تغادر.. بينما بقي هو يحدق بسقف الغرفة، ويفكر في كل ما حدث.. إن (نور) تخاطر بحياتها من أجله، وهي لم تعني له أي شيء.

ظل (سامر) يفكر في كلمات (لمياء)، نعم هي محقة في كل ما قالت، عليه أن يخبرها، قرر إخبارها الآن، وفي غرفة العمليات، حيث كان كل منهما ممددًا على الطاولة.

"(نور).. هنالك شيء يجب أن تعلميه...."

قاطعته وهي تبتسم إليه:

"أعلم، وأنا أيضًا أحبك"

نظر إليها يشعر بالشفقة على حالها، وحقارة ما فعله معها.. "يا لها من ساذجة بريئة!! تظنني سأخبرها الآن كم أحبها".. دارت تلك الجملة في عقله وهو ينظر إليها.

"ليس هذا فحسب...."

قبل أن يكمل أمر (أحمد) دكتور التخدير بالقيام بعمله، وما هي إلا ثوانٍ حتى راح كلاهما في سبات عميق.

بينما استمر عمل الأطباء لعدة ساعات قبل أن تصدر الآلات صفيراَ معلنة توقف قلب (نور) عن العمل، وقفت (لمياء) مصدومة لا تحرك ساكنًا، أخبرهم (أحمد) أن يحضروا جهاز الصدمات الكهربائية في محاولة لإنعاش قلب (نور). بينما وقفت (لمياء) تشاهد ما يحدث، حتى عاد قلبها إلى النبض مرة أخرى.

"لدينا نبض، فلنعاود العمل"

أخبرهم (أحمد)، لكن (لمياء) بقيت على حالها، فصاح بها (أحمد) لتستعيد وعيها، وتباشر العمل مرة أخرى، وبالفعل استطاعت الحفاظ على ما تبقى من رباطة جأشها متجاهلة بعض الدموع في عينيها، لتنهي عملها.

أخيرًا انتهت العملية، وكان (أحمد) يغسل يديه بعد أن خلع قفازه الطبي، تنظر (لمياء) إليه في دهشة من ذلك البرود الذي يتعامل به.

"لقد كانت العملية ناجحة، لكن عليك أن تعتادي أن تتحكمي في مشاعرك في داخل غرفة العمليات.. أن تكوني أكثر هدوءًا"

ظلت تنظر إليه بصمت.. لطالما أعجبت بتفوقه عندما كانا في الجامعة سويًا.. أقرانه يعتبرونه نابغة، وهي أيضًا، لكنها اليوم شعرت أنها تخشاه، لم تعد تثق به، تقدمت نحوه بثبات، فقد حسمت قرارها.

ـ "أنا آسفة.. لا يمكننا الاستمرار معًا"

أخبرته قبل أن تخلع خاتم الخطبة، وتعطيه إياه، لا ينكر أنه حزن لأنه خسرها، لكنه يعلم أنه سيتخطى الأمر.

مرت الأيام، وكانت (لمياء) تسير في المشفى عندما لمحت (نور) تتمشى، حتى توقفت أمام المقاعد الموضوعة في الجهة المقابلة لغرفة (سامر)، جلست تراقبه وهو يتحدث إلى أخيه سعيدًا، فقد استجاب جسده للكبد الجديد بشكل جيد، وتحسنت صحته كثيرًا.. كان يتماثل للشفاء بسرعة، جلست (لمياء) بجوار (نور) صامتة تفكر أتخبرها بحقيقة الأمر أم لا!؟ لكن (نور) فاجأتها بقولها:

ـ "أنا أعلم أنه كان سيتركني... أعلم كل شيء، سمعته يتحدث إلى (أحمد) في المنزل عني، وعن تلك الفتاة التي كان سيتركني لأجلها"

صرحت (نور) وهي تنظر إلى (سامر)، عندما نظرت إليها (لمياء) في دهشة، التفتت إليها (نور) مبتسمة، وقالت:

ـ "أراهن انه لن يستطيع أن يتركني الآن"

صدمت (لمياء) كثيراَ مما فعلته (نور)، فهي من ظنت أن (نور) تضحي بكل شيء من أجل حبيبها، ولن تكسب شيئًا. ألم تراها تلك المخدوعة البريئة التي تسير نحو حتفها مغمضة العينين؟ كم كانت مخطئة، فحسابات (نور) كانت مختلفة تمامًا، لعبت دور الضحية المخدوعة الساذجة بمهارة، لتحول دفة مشاعر (سامر) تجاهها بقوة، فلم يعد ير سواها، أوَ ليست هي منقذته!؟

وها هي (لمياء) تقف في زفافهم بعد أن تعلمت أهم درس في حياتها.. الطريق لقلب الرجال مفروش بالنوايا الشريرة.



للأبد أقصر مما توقعت

إيمان الشاذلي

نعم.. تركني!

تركني بعد قصة حب طويلة، أحببته فيها بكل جوارحي، عشقت حتى سماع اسمه، رأيت كل الوجوه هو، أهديته قلبي ومشاعري وتفكيري، فكان كل شيء هو... ورغم كل ذلك تركني!

أخبرني أنه لن يستطيع إكمال الطريق بجواري، استسلم مع أول عقبة، وقرر السفر وترك البلاد.. أتذكر تلك الليلة جيدًا.. عندما أخبرني فيها أنه آخر لقاء.

تركنى وراء ظهره، فكر بأنانية دون أخذ رأيي في قرار الفراق، فقط.. قرر أن نفترق، لأنه تعب من المواجهة، داس على مشاعري ورحل!

كان لقاؤنا في إحدى الحانات، تحت أحد أعمدة النور في ليلة شتاء، كان البرد بين ضلوعي، وليس خارج جسدي.

نعم... كانت ليلة عاصفة، أذكر تلك الكلمات التي ألقاها على مسامعي جيدًا:

ـ "سأرحل، سأسافر على إحدى السفن الليلة"

ـ "أستتركني؟"

زاغت عيناه هربًا من لقاء عينّي، ثم ساد الصمت لدقائق راسمًا الإجابة!

لم أتمسك به، رغم اعتصار قلبي، رسمت بسمة هادئة على شفتيَ، لن يفيد الكلام، فقد ذبحني بسكين، وقرر الرحيل.

لم أستطع التماسك، فسقطت دموع عينيَ أمامه ضعفًا، ثم أخبرته بأنني سأحبه للأبد، ولن أنساه أبدًا.
أعطيته ظهري ناظرًا إليّ، ثم رحلت.. كنت في قمة ضعفي وألمي، وقفت وسط الطريق في ليلِ ساكن، اختبأت حتى الحيوانات فيه من البرد، وقفت أبكي بحرقة، ومشاعر الندم تملؤني!
كيف وثقت به!؟ كيف أعطيته قلبي يعبث به، ثم يرميه وقت أن يقرر ذلك.
دخلت في حالة اكتئاب شديد، حتى فقدت السيطرة على عقلي، ولم يسيطر علي سوى فكرة الموت، أردت أن أتخلص من تلك الحياة لأرتاح من عذاب قلبي!
دخلت مطبخ المنزل، وجذبت إحدى السكاكين، لتمشى على معصمى ممزقة شراييني، سقطت على الأرض أنزف فاقدة الوعي.
استيقظت في إحدى المستشفيات، أحد المحاليل متصل بذراعي، ومعصمي مربوط، بكيت بكاءَ هيستيريًا، ظللت أردد:
- "لمَ لمْ تتركوني أموت!؟"
إحدى صديقاتي لم ترني منذ أيام، حاولت الاتصال بي، فلم أجبها، أتت للمنزل، وطرقت عدة طرقات، ولم يجبها أحد، سألت الجيران، ليؤكدوا لها أني لم أخرج من المنزل منذ عدة أيام، كسرت باب الشقة، لتجدني غارقة في دمائي، وهي من قامت بنقلي إلى المشفى.
نظرت إليّ (سحر) وأنا أبكي، قائلة:
- "أكل ذاك من أجل حقير تركك!؟ لا يستحقك، ستنسينه"
زادت تلك الكلمات من بكائي، وكل ما كانت تفعله أنها تزيدني اختناقًا.

مكثت في المشفى أسبوعين، كنت أنام على المهدئات والمسكنات، حتى استعدت وعيي قليلًا، خرجت من المشفى بعد أن نصحني الطبيب بزيارة الطبيب النفسي، لأتخطى تلك المحنة.

خططت لزيارة الطبيب، وذهبت معي صديقتي (سحر).

مع الوقت والعلاج بدأت في التحسن، وطلب مني الطبيب النفسي كلما شعرت بالضيق أن أكتب ما أشعر به على ورق، كنوع من (الفضفضة).

فعلت ما طلبه مني، حتى مر أكثر من شهر، جاءت (سحر) لزيارتي، لتجد كومة من الورق على مكتبي، بدأت فى تصفحها ورقة ورقة، أعجبها ما كتبت كثيراَ، لأجدها تقترح.

- "ما رأيك في أن تنشري ما كتبتِ في كتاب؟؟"

- "أنا!؟" (بسخرية)

- "نعم.. رائع ما خطت يداكِ، ذاك هو ما بداخل كل فتاة"

- "لا أعتقد"

- "بل اعتقدي، لربما تقرأ إحدى الفتيات ما كتبتِ أنتِ، لتتأكد أنها ليست الوحيدة، وأن عليها ألا تفقد الأمل"

فكرت في تلك الكلمات كثيراَ، وظلت (سحر) تكرر ما طلبته، حتى وافقت.

جمعت (سحر) الورقات، وعرضتها على كاتب صديق لها، أعجب بذلك، وقام بنشرها فى كتاب.

لم أتوقع أن يأخذ الكتاب كل ذاك الاهتمام من الناس، حقق مبيعات كبيرة، ومع الأيام أصبحت كاتبة معروفة، ولي قدري بين من يكتبون على الساحة.

كتبت العديد من الروايات، ومرت السنون لأجد أحد الرواة يحاول التقرب مني. ربما كونت تلك المعاناة داخلي حصنًا منيعًا أخشى من أحدهم أن يخترقه، ويعبث بمحتويات قلبي.

ما أن حاول الحديث معي حتى تهربت منه، على الرغم من تقديمه لي كل الدلائل على صدق حبه.

وذات يوم طلب مني أن نتناول الغداء معًا، للحديث عن موضوع رواية يريد أخذ رأيي فيها، وافقت، لأجده يفتح موضوع آخر.

- "لمَ تتهربين مني؟"

- "لا أتهرب منك، ومن فضلك لا تخرج عن الحديث في الموضوع الذي حضرت من أجله"

- "من فضلك أجيبيني!"

ساد الصمت لدقائق، ثم نظرت إليه.

- "أريد أن أفهم"

مع محاولات منه رويت له كل شيء، كل ما أعرفه جيدًا أنني لم أعد أحبه، لكنه لقن قلبي درسًا لن ينساه.

وعدني (ريان) أنه لن يؤذيني أبدًا، فقط يريد فرصة، فرصة ليخترق ذاك الحصن حول قلبي.. تركته يحاول، وباهتمامه وطيبة قلبه ظفر بقلبي.

وتم إعلان الخطبة، عشت معه أجمل أيام حياتي، وتزوجنا بعدها بعام.

مرت الأيام، وأنجبت من زوجي (ريان) طفلة أسميتها (حلم).. كانت ذاك الحلم الذي نشأ بيني وبين (ريان)، ليكمل لوحة الحب التي بدأها هو، وأكملناها سويًا.

وفي إحدى الأيام كنت أتسوق بإحدى المحلات التجارية... أجلست (حلم) بعربة التسوق، أضاحكها، ونشترى ما يلزمنا من مواد غذائية للمنزل... لأجد أحدهم يوقفني، فسألته:

- "هل أستطيع مساعدتك؟"

- "أنا (سامر).. أتتذكرينني؟"

- "آسفة.. لا أتذكرك.. هل يمكنك تذكيري بموقف أو شيء؟"

ابتسم، ثم تنهد مكملًا:

- "أنا أول حب فى حياتك"

صعقت عندما سمعت تلك العبارة، أمعقول!؟

حاولت التماسك، وإظهار أني طبيعية.

- "نعم تذكرت.. كيف حالك؟"

- "أهذه ابنتك؟"

ظهر على ملامحه الانتباه وهو يسـأل، لأجيبه:

- "نعم.. إنها (حلم).. ابنتي"

رأيت ذاك الأسى في عينيه، كالنادم على تركي يومًا، ليجيب على سؤالي عن حاله هاربًا.

- "أنا بخير، سمعت أنك أصبحت روائية مشهورة"

- "الفضل يعود لك" (حدثته، وابتسامة ساخرة على شفتي)

- "آسف"

- "على ماذا!؟"

صمت هاربًا من الإجابة، هربت عيناه، ثم التقت بعيني الجامدة، فأكملت حديثي:

- "يجب أن أرحل الآن، فلا أريد أن أتأخر، سررت برؤيتك"

تركته وأنا أتسائل، كيف لشخص أخبرته يومًا أني سأحبه للأبد ألا أتذكر حتى ملامحه!.. بل وحتى نسيت اسمه.

يبدو أن تلك العبارة.. "سأحبك للأبد".. ما هي سوى كذبة كبيرة، فالأيام كفيلة بمحو أي ذكرى، الحياة لا تتوقف على أحدهم، فهي دائمًا وأبدًا ما تستمر.

ربما تذكرت تلك اللحظات الأخيرة معه لدقائق، لم أتألم، فحب (ريان) كان العلاج لكل أوجاعي، رمم قلبي بكامله، لكني كنت سعيدة بتلك النظرة النادمة التي يقنتنى جيدًا أن كل فتاة أحبت بصدق، وقابلت ذاك بجرح كبير، سيبكي من جرحها على خسارتها يومًا، وذاك يوم لن ينفع فيه الندم.. فاستمري في حياتك.. أعطي فرصة للحب الصادق.. فدائمًا هناك فرص له!



يوسف الأبيض

ولاء العشري

كان الصيف قد أذن لنا ببعض الراحة والسلام، لكنه أعلن كذلك عدم مسئوليته عن أي طارئة أو جديد يطرق بابنا بخير أو بسوء.
كنت قد ألفت المكان، وأحببت العاملين به. صحيح أن هاجس "ماذا لو" بقي برأسي كالورم الخبيث، ينشط كلما جن الليل، لكن الحياة برغمه كانت هادئة.
لكن أحدهم ألقى بحجر في نهر الحياة الهادئ، فتغيرت الأمور!
كانت الظهيرة من يوم لم أعد أذكر اسمه ولا تاريخه، ظهيرة توحي بسلام يجعلك تنسى محاذيرك كلها، وتضع تأهبك جانباً.
رفيقتي تعد الغداء، بينما أنهي أنا عملي بالاستقبال. انتهيت من فحص آخر حالة.. كنت في طريقي إلى السكن حين رأيت الرجال يهرعون من بوابة المستشفى إلينا. يحمل أحدهم على كفيه (فؤاد).. عرفتُ اسمه فيما بعد.. امتلأ المكان بالضجة والحركة، وكنتُ هناك في قلب الحدث.
(فؤاد) ذو التسعة أعوام، ممدد على أريكة سوداء، ملطخ بالدماء. كان لحسن حظه -أو لسوئه- لم يتخلَّ عنه وعيه. بكاؤه يمزق القلب، وكذا ساقه المهشمة.
"ما يبكيك يا فؤاد؟"
"رِجْلِيي!!"
استدعينا مدير المستشفى، وكل ما استطعنا فعله هو محاولة -فاشلة

بالتأكيد- لتسكين الألم، لحين نقله إلى أقرب مستشفى عام. المستشفى المركزي ليست المكان المناسب لحالته.
كنا منشغلين بترتيب نقل الصغير، وبحالة ساقه التي لا تبشر بخير، لم ينتبه أحدنا لكلمة الرجل الذي جاء إلينا بـ(فؤاد)، ثم انصرف مسرعًا. فقط حين عاد إلينا مرة أخرى فهمنا معنى.
"لسة فيه تاني!"
جاء الرجل هذه المرة بجلبة أكثر، ومجموعة من الرجال يتجاوز عددهم العشرة... يحملون بين أيديهم طفلًا بين الرابعة والسادسة من عمره.. وضعوه على الأريكة السوداء المقابلة لـ(فؤاد). وجوههم كانت كالأشباح الغاضبة هذه المرة.. تكهرب الجو تمامًا... صوتي لا أكاد أسمعه من شدة الصراخ.
الرجال يهتفون غضبى:
ـ "اعملوا حاجة!!"
بينما تصرخ الممرضات:
ـ "جايبينه هنا ليه!!!؟"
ألقيت بنظرة على وجه الصبي لأتبين حالته، لكن عينّي انصرفتا عنه في الحال، بينما علامات الاستفهام تعمل بعقلي كالبرق! ما هذا الذي رأيت!؟ أين الملامح؟ أين العينان والأنف؟ أين الفم؟
للوهلة الأولى خطر على بالي أنه مشوه خِلقيًا.. هناك خطب ما بوجهه!
لكن إبان الصراخ المتبادل بين الرجال والعاملين بالمستشفى، تبينت أن الذي رأيته ليس تشوهًا خلقيًا، وأن (يوسف).. عرفت اسمه فيما بعد.. قد تحطمت صدفة رأسه القوية، لتخرج الكتلة المخية البيضاء، تغطي وجهه ورأسه، وأيدي الرجال الحاملين له!

أخيراً، جاءت سيارة الإسعاف، وحملوا الصبيين.

نظرت إلى الأريكة، حيث كان يرقد (يوسف) منذ قليل، فوجدتها تحمل بقعةً بيضاء، رسالةً منه. الكتلة الهلامية التي حركت قدميه ويديه، وقادته إلى النصر في معارك الطفولة، والضحك والبكاء في أحلامه الليلية، الكتلة الحية قد تفككت خلاياها، واستقر جزء منها يشبه العجين على الأريكة!

خرجت من الحجرة، وقد صارت في عيني دَنِسَة. وقفت لأستنشق الهواء، لكنه هو الآخر كان يحمل رائحة الموت.. رائحة (يوسف).

قطعت حبل أفكاري المسمومة بالموت امرأة أربعينية، جاءت تولول.. تصحبها صبية في العقد الأول من عمرها.. كانت السيدة تدور بعينيها في أرجاء المكان كمن مسه الجنون، تسأل في جزع عن صغيرها.

لا أدري لم اعتقدت حينها أنها أم (فؤاد).. أقسمت لها أن ابنها بخير، فقط كسرت ساقه، ونقل إلى مكان آخر.. ثم أدركت بعدها أنها أم الآخر.

كانت وابنتها تشاركان (يوسف) و(فؤاد) ذات الـ(توك توك) المشئوم الذي دهسته سيارة النقل. وقد أصيبت هي الأخرى على ما يبدو؛ كانت تصرخ "ابني!!".. ثم "آه!!".. وتسند ظهرها بكفيها... إن لم تكن قد أصيبت بانزلاق غضروفي حاد، فهي محظوظة بحق.

حقنتها الممرضة بمهدئ للأعصاب، لكنها بقيت على هذيانها:

ـ "ابني شاحتاه منك يا رب!".. كلماتها على الرغم مما تحمله من سوء أدب مع الله، لكنها تزلزل أعتى القلوب.

وقفت بجانبها أواسيها بالكذب، حتى وقع بصري على بقعة بيضاء بخمارها الداكن. كان يحمل ذات الرسالة البيضاء التي تشبه العجين، رسالة من ولدها.

لا أدري كيف تمكنت المرأة من مغادرة المكان وهي بحالتها تلك، لكنها انصرفت للبحث عن ابنها. كنت أنا كمن تسربت روحه من ثقوب خفية بجسده.. اشتهيت البكاء حينها كما لم أشتهيه من قبل.

"دكتورة!"

نادتني الممرضة على استحياء.

"البالطو بتاعك عليه..."

أوقفتها بإشارة من يدي، لم أكن بحاجة للمزيد، عرفت في الحال أن رسائل (يوسف) البيضاء ستطاردني أينما ذهبت.

صعدت إلى السكن.. خلعت عني المعطف بأطراف البنان، وكومته في حقيبة سوداء، وألقيت به حيث تلقى مخلفات المستشفى.

حكيت الأحداث في عجالة لرفيقتي التي حالفها الحظ، إذ كانت بمنأى عن كل هذا.. حين جاء الإستدعاء هذه المرة نزلت هي، لتتاح لي الفرصة أخيرًا للبكاء.. لم أشعر يومًا بالانقباض والنفور مثلما أحسست به حينها.. تمنيت أن ينتهي اليوم، ويموت الزمان، والمكان الذي تدنس بالموت، ولن يتطهر إلا بحرقه.

توالت الحالات هذا اليوم كالمطر.. لكني أبلغت الجميع رسميًا، أنني لن أدخل حجرة الاستقبال، وأني سأفحص الحالات بأي حجرة إلا هذه.

قرأت بعدها قصيدة لـ(أمل دنقل) اسمها "أوراق الغرفة ٨".. يصف كل الأشياء بالأبيض، الذي صار يذكره بالموت. أنا أيضًا صار الأبيض عندي مرتبطًا برسائل الموت، وباليوم الأخير لـ(يوسف).. (يوسف الأبيض)، كما أطلقت عليه ذاكرتي.

******

شيء ما

أماني شعبان

إهداء:

إلى كل من أفنوا زهرة شبابهم في البحث.. وريعان الصبى في التنقيب.. وضاع عمرهم في الانتظار.. إلى كل نفس مشتتة أنفاسها لاهثة.. تعرف لنفسها اسمًا.. ولا تعرف كيف تتجمع وتتحد، لتجعل لذاتها صفة وكيانًا ووجودًا.

****

لم تكن باهرة الحسن أو رائعة الجمال، ولكن كان لها وجه مريح يبعث في النفس الراحة والطمأنينة، وملامح معبرة توحي بالرقة والنقاء، وتشعر معها بالألفة والانتماء.. أما عيناها الصافيتان المهذبتان فكانتا كبحر حائر مضطرب، يزخر بمشاعر شتى.

هذه كانت الفتاة التي جلست إلى جوارها في حافلة (السوبر جيت).. وكان السائق قد قام بتشغيل شريط فيديو لإحدى المسرحيات الساذجة، وراح أكثر من في الحافلة يضحكون على ما يقال فيها من نكات سخيفة، ويتابعونها برغم ضحالة الفكر، وهبوط المستوى العام.

فيما عدا أنا وقليلون من عاشقي الهدوء والسكينة، فمنهم من أمسك بكتيب مثلي، وراح يقرؤه في نهم، والبعض الآخر أمسك بالصحف اليومية،

وراح يتصفحها.. أما هؤلاء الشباب الذين جلسوا في آخر العربة، فراحوا يمزحون ويمرحون في هدوء، دون أن يبالوا بنا، أو يسببوا ضجة أو إزعاجًا لنا.

أما هي فلم تفعل ذلك أو ذاك، ولكنها فقط اكتفت بالتطلع عبر النافذة بذهن شارد، وعدم إدراك لما يحدث، ومن الحين إلى الآخر كانت ترمق كل من حولها في الحافلة بعيون حيرى، ونظرات حزينة مضطرب، وكأني بها تتساءل كيف يجد كل هؤلاء في أنفسهم تلك القدرة العجيبة على المرح والضحك، ونسيان الهموم!؟ لا شك أنهم رائعو السذاجة أو شديدو العبقرية!

"هيا انهضي لتجلسي معنا.. لا لن أتركك وحدك.. هيا انهضي"

هكذا حدثها ذلك الفتى الطويل النحيف الذي جاء من أول الحافلة حيث كان يجلس، وأخذ يجذبها من يدها بإلحاح، وهي ترفض، وتسحب يدها منه برفق.

لا.. لا أظنه خطيبها أو حبيبها.. البساطة والود الذي تعامل به كل منهما مع الآخر لا توحي بذلك.. فقط كل ما أثار دهشتي هو مزاحها معه، وتلقائيتها العجيبة في التحدث إليه.. وكأنها أخرى غير تلك التي تجلس بجانبي.. هادئة حزينة لا تحرك ساكنًا.

"أهو أخوك!؟"

هكذا سألتها في خفوت بعد أن عاد هو من حيث أتى، دون أن يستطيع إقناعها بما جاء من أجله، وللحظة خيل إلى من انعقاد حاجبيها، وتجهم وجهها أنها ستصيح في وجهي قائلة:

"وما شأنك أنت أيتها المتطفلة!؟"

لكنها -ولحسن الحظ- لم تفعل ذلك، بل أجابت سؤالي بابتسامة مهذبة قائلة:

ـ "لا.. ليس أخي.. ولكن شيء من هذا القبيل"

ما هذا!!؟ إجابة عائمة معممة، لم أستخلص منها شيئًا.. أردت أن أستوضح أكثر، لكنها أشاحت بوجهها عبر النافذة، وكأنما تقول لي في رقة.. "اخرسي!".. وبالفعل التزمت الصمت التام، ولم أحدثها ثانية، إلا أنني لاحظت تجهمًا شديدًا غير مبرر بدأ يكسو وجهها، وحزنًا عميقًا غزا ملامحها، ثم مرت الدقائق والتجهم يتلاشى من وجهها شيئًا فشيئًا، والحزن يختفي من ملامحها رويدًا رويدًا، وثمة عبرة كادت تقفز خارج عينيها، إلا أنها لم تلبث أن ذابت بين جفنيها، فلم يرها أحد، ولم يشعر بها سواي.. وسألتها:

ـ "ماذا يحزنك!!؟"

تنهدت تنهيدة حارة من أعماقها، فمنحتها ابتسامة حنونًا، كي أشاطرها ما هي فيه من ألم، وجاءني صوتها عذبًا حزينًا:

ـ "ثمة شيء ما ضائع مني لا أدري كيف أجده"

قلت:

ـ "ابحثى عنه، وحتمًا ستجدينه"

قالت:

ـ "بحثت عنه كثيرًا، مرارًا وتكرارًا، دون جدوى.."

قلت:

ـ "أهو مهم لديك؟"

قالت:

ـ "بأكثر مما تتصورين، فلا حياة لي بدونه"

ثم ظهر الرجاء في عينيها وهي تقول:

ـ "هلا بحثت لي عنه.."

قلت:

ـ "كلا.. لا بد أن تجديه أنتِ، فلن يجده سواكِ، فثمة أشياء إن لم نجدها نحن بأنفسنا لن يجدها الآّخرون لنا"

أطرقت في صمت، ودمعت عيناها من جديد، وكدت أستفسر منها عن ذلك الشيء أكثر، إلا أن الحافلة كانت قد توقفت، ونزل جميع ما بها من الركاب.. كلٌ ذاهب إلى غايته، فيما عداي أنا وهي، وكدت أستعد للنزول بدوري، إلا أنها استوقفتني في جزع، وجذبت يدي في لهفة تناشدني البقاء.

فسحبت يدي منها برفق، وربتت على كتفها في حنان قائلة:

ـ "يجب أن أرحل"

ونزلت، وتركتها وحيدة بالحافلة، تشيعني بنظراتها، وتقول بعينيها:

"وداعًا أيتها الصديقة الفضولية.. أسعدتني صحبتك"

فأجابتها عيناي:

"وداعًا أيتها الحزينة الحائرة.. آلمتني حيرتك"

******

فن الحياة

هبة محمد علي

إهداء خاص

*إلى سائق التاكسي أولًا:

"أيما كنت، وأينما كنت.. أشكرك؛ فقد أرضيت غرور اختلافي أمام القدر."

*وإلى الجميلة المبدعة (نور عبد المجيد) ثانيًا:

"أهدي لكِ كلماتي الأولى بعد انقطاع طويل، وأنحني لكلماتك التي أدين لها بذاك الفضل، ويشكرك قلمي لإعادته مرة أخرى للحياة بعد طول انكسار."

*وأخيرًا... إلى إشارات القدر، وإلى القدر... للأبد...

"الكثير من الشكر لا يوفيك حقك... ولنا لقاء مشرق آخر."

***

"لأنه يجيد فن الحياة"

أومأت برأسي وأنا أردد الكلمات بداخلي مرة أخرى:

ـ "نعم.. أحبه لأنه يجيد فن الحياة"

ابتسمت وأنا أتذكر لقائي الأول به... يومها كانت مازالت آلام طلاقي تقتلني في صمت.. كنت أحمل جراحي وكأنني أحمل همًا أبديًا، لا سبيل للفكاك منه... يومها رأيته... استقللت سيارته الأجرة مثل أي شخص... فاجأني بعاصفة من الرقة والاحتواء، وكأنه يلبي نداءات جراحي التي تئن بلا انقطاع.

ابتسم، وقال لي في نفس اللحظة التي أخبرته فيها عن وجهتي:

ـ "تمنيت مند زمن أن أقلك الى أي مكان!"

وكأنه صعقني... تأملت وجهه المبتسم في مرآة السيارة، وسألته في توجس:

ـ"معذرة!"

أجابني وهو يتنهد في صدق:

ـ "أراك يومياَ في نفس الموعد، وأنت ذاهبة إلى عملك"

ثم ضحك وهو يقول، وكأنه يعرفني مند زمن:

ـ "أمُرّ بهذا الطريق يومياَ في نفس الموعد، كي أكون أول من يعبر أمامك، لتوصيلك، لكنها المرة الأولى التي أنجح فيها"

نظرت إليه، وأنا أحاول استيعاب ما يقول، وسألته غير مصدقة:

ـ "منذ متى؟؟"

ابتسم وهو يقول في خجل:

ـ "فترة لا بأس بها"

ثم أعقب قائلًا:

ـ "ورأيتك أمس في وسط المدينة"

ازدادت دهشتي، وسألته محتدة:

ـ "أتراقبني!!؟"

أجابني في سرعة وعفوية، وبنفس الابتسامة المذهلة:

ـ "لا.. إنها حقًا صدفة.."

ثم أعقب بصدق:

ـ "ليس من السهل أن تجدي أناسًا يتركون هذا الأثر بداخلك لمجرد رؤيتهم"

تنهدت متعجبة، وازددت عجزاً على عجز، ليس وقحًا، بل هو صادق المشاعر لدرجة تذهلني، وفي توقيت قاتل.

تأملت في هدوء ذلك الشاب الأربعيني الوسيم باسم الوجه... ابتسم ابتسامته الساحرة مرة أخرى، فابتسمت دون أن أشعر... لم يكن من السهل بعد كل هذه الرقة مقاومته... وحقًا لم أحاول المقاومة؛ لأنني كنت بحاجة ماسة إليه، ولست في حاجة لأقول أنه فعلًا نجح فيما فشلت فيه... نجح في أن يجعلني.. أحيا.. أحيا من جديد.

تذكرت عرضه أمس بالزواج... تذكرت كيف احتوى كفي، وهو يخبرني بصدق كيف أنه تكفيه ابتسامتى حينما أراه، لتجعله يشعر أنه مَلِك لهذا العالم.. يكفيه انتمائي له ليجعله أسعد رجال الأرض، وأن وجوده بجانبي ليسعدني هو أقصى ما يحلم به.

أي امرأة في العالم تستطيع مقاومة هذا الرجل!؟ بل وكيف لي أنا الإنسانة شبه المحطمة التي أحياها هو تقريباَ من جديد كيف لي أن أقاومه!!؟ كيف لي ألا أذوب فيه!!؟ معه تعلمت كيف أعيش كل لحظات حياتي بفرح.. بصدق.. كلما ضاقت بى الدنيا أتوه، فأجده بجانبي يحتويني، يمتصني، يرشدني، يعيد تشكيل كل صدمات حياتي، فتندمل جراحي وكأنها لم تكن. منحني من خبرته الحياتية الكثير من القوة... منحني بحبه الكثير من التسامح.

أتذكر كيف كانت سيارته ملاذي وملجأي حينما تضيق بي الدنيا.. كيف كان يدور بي كافة أنحاء المدينة.. أنا وحدي، حتى تنتهي دموعي، ولا يتركني إلا وابتسامتي تملأ وجهي.

صوت من بعيد يهمس في أذني: "وماذا عن مكانتك الاجتماعية... عائلتك... أصدقائك!؟؟ كيف لك بالارتباط بسائق تاكسي!؟"

أعود لأجيب نفسي بثقة، لأخرس كل الأصوات: "وماذا فعل لي صاحب المكانة الاجتماعية؟؟ لم يفعل سوى أن يتعسني، ولكن سائق التاكسي علمني كيف أتنشق عبير الحرية...والحياة"

ينتظر ردي غدًا...

وأنا....

قررت... أن...

أعيش.

******

بيبا

هبة محمد علي

اليوم سأحادثها.. اتخذت قراري، ولن أتراجع عنه، حتى لو رفضتني لن أندم.. هي تستحق المحاولة... لماذا؟ لأنها لا تتكرر... من هي؟؟ هي ساحرتي الصغيرة.. (بيبا).

رأيتها للمرة الأولى في الأسبوع الأول لانتقالي هنا... جذبتني منذ رأيتها بسحرها الأخاذ وهي تمارس طقسها اليومي المعتاد الذي رغم تكراره إلا أنك لا تمله أو تملها أبدًا، وهنا يكمن سرها.. يوميًا وفي الثامنة صباحًا تظهر مرتدية سترتها الرياضية الفاتحة اللون، وفي أذنيها سماعتان متصلتان بهاتفها الخلوي... تجري في خفة وحيوية، يتطاير معها شعرها البني القصير، ليجعلها تبدو كفراشة تحلق في الفضاء.. تحيطها هالة من الغموض والجاذبية تجعلها في النهاية لا تقاوم.. فعلًا هي لا تقاوم.. منذ رأيتها وأنا أعشقها.. منذ رأيت كيف يحبها كل من يعرفها وأنا أذوب فيها... كلما رأيتها وهي تحيي كل الجيران بود حميمي يومي آسر وجدتُني أذوب فيها. أراقبها يوميًا وهي تتجه لبائعة الزهور المجاورة، لتبتاع باقة زهور بيضاء اللون، تحتضنها في حب، ثم تتجه بعدها محلقة إلى موطنها... نعم هو موطنها.

أقصد الـ(book store cafe) الذي تمتلكه، وتقضي كل عمرها بين أركانه، وكأنها أعدته ليكون منزلها، وموطنها، وكل ما لها فى هذا العالم، وهو حقًا مكان ساحر خلاب، يأسرك أيضًا منذ اللحظة الأولى، وكيف لا يفعل وقد

تركت بصماتها الذهبية على كل أركانه... سألت كثيراً عنها، وكلما سألت، وسمعت أزداد عشقًا لها.

كثيراً ما كنت أراقبها وهي تتعامل مع رواد مقهاها من المراهقين وكأنها أحدهم، وبرغم ذلك تحافظ على تلك المساحة من الخصوصية التي تجعلهم يذوبون فيها عشقًا، ولا يتجرؤون عليها. أراها معهم كالأطفال تطير، وتقفز مرحًا، وتمزح في حيوية خلابة، وفي ثوانٍ تتبدل لتكون أنثى كاملة النضج والجاذبية، ورجاحة العقل مع رواد المقهى من كبار السن.. تباريهم في نقاشاتهم وقراءاتهم وآرائهم بدون تكلف أو تصنع.

سمعت ذات مرة وصفًا لها من أحد الباعة المجاورين الذين يرتادون مقهاها بأنها.. "بنت بلد وجدًا يلقي الشعر في المقهى بأنها.. "ليدي وستايل".. تنهدت في حيرة متسائلًا: "من أي خليط صنعت هذه الساحرة إذن!؟ وأي تناقضات تجمع بين ثنايا شخصيتها المبهرة!؟؟ بل وكيف تجعل من المكان موطنًا لكل رواده!؟؟ وتتعامل مع الكل بأسلوبه على اختلاف شخصوهم، وأعمارهم، ومستوياتهم، وثقافاتهم.. وفي النهاية الكل يعشقها.. الكل يدمنها، ويدمن سهراتها، وصخب مقهاها الحاني الدافئ مثلها.." كقطعة الشيكولاتة أراها.. لا منتهية.. حقًا هي لا منتهية.. تترك خلفها شذى لا يزول من الذاكرة والوجدان، ليس لدي فقط، لدى كل من يعرفها بحق.

اليوم اتخذت قراري بالتحدث معها عن إعجابي وافتتاني بها.. لا تهمني النتيجة.. في كل الأحوال أعشقها.. اتخذت قراري وأنا شبه متأكد من الرفض، إلا أنها تستحق المحاولة.. تساءلت كثيراً قبل أن أتخذ القرار.. كيف من الممكن أن تتخطى ساحرة مثل هذه سن الثلاثين بدون ارتباط؟؟ ولم أجد إجابة شافية سوى أنها تصد كل محاولات الارتباط بحزم قاطع...

لماذا؟؟ لا أحد يعلم! وهكذا اتخذت قراري بالمحاولة... هي تستحق ألف محاولة.
عبرت الطريق إلى مقهاها في لهفة، ووقفت أمام الباب الزجاجي أراقبها وهى تتمايل في خفة على النغمات المنبعثة داخل المقهى، وترتب المقاعد المتناثرة في هدوء.. خفق قلبي في لهفة وهو يراها للمرة الأولى عن قرب..
كم هي رائعة حقًا؟ تنهدت، وقد لمعت في عيني دمعة حب حائرة، ومددت يدي أطرق الجرس الخارجي قبل أن أفتح الباب، وأدلف للداخل.
نظرت إلي في ود آسر، وقالت مبتسمة:
ـ "زائر جديد... صباح الفل"
ابتسمت دونًا عني وأنا أجيبها في ارتباك، وقد ازدادت خفقات قلبي المشتاق لهذا اللقاء منذ شهور:
ـ "صباح النور.."
وتنهدت وأنا أحاول إخفاء انبهاري بها قائلًا:
ـ "زائر جديد، ولكن أيضًا قديم"
ابتسمت في تساؤل، فبادرتها:
ـ "أقطن في البناية المقابلة، وأراك يوميًا، وأتفاعل مع صخب مقهاك وكأنني أحد رواده"
قالت وهي تدعوني للجلوس:
ـ "أهلًا بك بكل تأكيد.. زائرًا جديدًا وقديمًا، وبكل أحوالك.. هنا فلتعتبر نفسك في موطنك.. كن على راحتك تمامًا"
اتجهت إلى حيث أشارت إلي، وجلست، وأخذت أتأملها عن قرب.. بينما قالت، وهي تمد كفها إلي:
ـ "فلنتعارف أولًا...(بيبا).."

نهضت، ومددت كفي، لأحتوي كفها مصافحًا:

ـ "(مراد)"

رفعت حاجبيها في إعجاب وهي تقول:

ـ "الله! اسم قديم.. أعشق كل أسماء الرجال القديمة، أشعرها تفيض وقارًا"

ثم ضحكت بمرح، وهي تشير إلي أن أجلس قائلة:

ـ "تفضل... بم تود أن تبدأ نهارك اليوم؟؟ لدينا كل ما تحب بكل تأكيد"

سألتها وأنا أتأمل عينيها المتمردتين، وابتسامتها المرحة الخلابة:

ـ "ماذا تقترحين علي؟"

نظرت إلى السقف مفكرة، ثم قالت في مرح:

ـ "أقترح عليك أن تتعايش مع اختياراتي.. بم أنك جديد.. وأنا وأنت وحدنا بدون رواد آخرين.. فلتترك لي إذن حرية أن أعرفك على مقهاي"

ثم استدركت، وهي تهز رأسها، وتغمز بعينها:

ـ "كي أضمن أن تعود إلى هنا مرارًا.. مرارًا"

هززت رأسي مبتسمًا، وأنا أقول:

ـ "أوافق"

قالت في عذوبة، وهي تتجه لركن الطعام:

ـ "فليكن.. إليك البرنامج المقترح، ولك حرية تغيير أي شيء لا تحبه"

هززت رأسي، وأنا أذوب من فرط عذوبتها قائلًا في استسلام:

ـ "تفضلي"

قالت بنفس الابتسامة الخلابة:

ـ "أولًا.. سنتناول طعام الإفطار سويًا.. ما رأيك بالبيتزا مع الشاي؟"

هززت رأسي قائلًا:

ـ "أوافق.."

بينما أكملت هي متسائلة:
- "على أغنيات متنوعة لـ(فرانك سيناترا)؟"
عقدت ذراعي أمام صدري، وأنا أتراجع في مقعدي للخلف مبتسمًا، ثم تنهدت، وأنا أهز رأسي قائلًا:
- "أيضًا أوافق"
اتجهت لركن الكتب قائلة:
- "سأختار لك إذن كتابًا يسليك ريثما أنتهي من إعداد الإفطار"
تأملتها في صمت، وهي تبحث فى مكتبتها عن كتاب أقرؤه.. بينما كل دواخلي تلتهمها التهامًا.. حقًا.. أية ساحرة أنت؟ وأي كتاب يستطيع أن يقنع عيني بالبقاء بين سطوره تاركة تأملك!؟
وجدتُني أنهض دون أن أشعر، وأتجه إليها متسائلًا:
- "هل لي أن أطلب شيئًا؟"
نظرت إلي مبتسمة، وقالت في ود زائد:
- "بكل تأكيد"
نظرت إلى عينيها العذبتين، وأنا أسالها:
- "هل بإمكاني أن أعد طعام الإفطار معك؟... لا أريد أن أقرأ شيئًا الآن"
صمتت متعجبة لوهلة، ثم أعادت الكتاب لموضعه، وهي تهز كتفيها قائلة في بساطة:
- "كما تحب.."
ثم اتجهت لتضبط مشغل الموسيقى على أغنيات (فرانك سيناترا)، وأشارت لي قائلة:
- "تفضل إلى مطبخي المتواضع"
سارت أمامي بحيويتها المعتادة، وهي تقول:

ـ "فلتتول أنت إعداد الشاي، ولتترك لي البيتزا"
أومأت برأسي قائلًا:
ـ "بكل تأكيد"
اتجهنا سوياً إلى المطبخ، وبدأت هي في تحضير البيتزا، بينما قمت بملئ براد الشاي بالمياه، ووضعه على الموقد، ثم استدرت أتأملها، وهي تعمل فى حب.. حقًا حينما تتأملها تشعر أنها تحب حتى الأشياء التي تمسكها.. نعم يتخللك إحساس بأنها تعشق حتى أدوات مطبخها التي تعمل بها.. وجدتني أسالها بانبهاري الذي أصبح لصيقًا بي:
ـ "تحبين هذا المكان كثيراَ.. أليس كذلك؟"
نظرت إلي بركن عينيها مبتسمة، وقالت وكأنها تقر حقيقة:
ـ "أعشقه.. هنا أكون أنا.. هنا هي أنا.. بكل صدقها ووضوحها"
ابتسمت لكلماتها، وأنا أسألها:
ـ "منذ متى بدأت هذا النشاط؟"
أجابتني في هدوء باسم:
ـ "خمس سنوات تقريباَ.."
ثم استدركت بشرود:
ـ "ولكنها وكأنها العمر كله.. نسيت كل عمري قبلها"
سألتها في شغف:
ـ "ماذا تقصدين؟"
أجابتني في هدوء:
ـ "أقصد أنني بدأت بها عمراَ جديدًا، أصبح الآن هو كل عمري وماضيي... قبلها لا شيء يذكر"
ابتسمت متسائلًا:

ـ "ولماذا؟"

أجابتني:

ـ "قلت لك.. لأنني هنا أكون أنا... هنا موطني الحقيقي"

ـ "كل الناس هنا يحبونك"

مبتسمة كالعادة أجابت:

ـ "وأنا أذوب فيهم... لي قصة عشق مع كل رواد هذا المقهى"

ابتسمت بدوري لتعبيرها، ثم وجدتها فرصة لفتح موضوعي، فتساءلت:

ـ "هل يمكن حقًا أن تكون لك قصة عشق مع كل هؤلاء البشر؟"

نظرت إلي، وقالت في غموض:

ـ "إذا تغاضينا عن المعنى التقليدي للعشق.. فنعم يمكن طبعًا.."

سألتها بلهفة:

ـ "وماذا عن المعنى التقليدي للعشق!؟"

نظرت إلي نظرة خاطفة، ثم تساءلت في هدوء:

ـ "تعني عشقي لشخص واحد ليكون حب عمري؟"

هززت رأسي قائلًا:

ـ "أليس هذا هو حلم كل فتاة؟"

ابتسمت، وهي تجيب:

ـ "بكل تأكيد.."

ثم توقفت عما تفعله، ونظرت إلي قائلة في لهجة متلاعبة:

ـ "سأخبرك عن هذا إذا ما أخبرتني عن الهدف الحقيقي من زيارتك"

شعرت وكأنني وقعت في فخ.. ارتبكت، ثم ما لبثت أن تنهدت وأنا أشير بذراعي قائلًا:

- "فليكن.. أستسلم... أتيت لأخبرك حقًا... كم.. كم أنا معجب بك.. لأنك حقًا مميزة"

ابتسمت، وعاودت إكمال صنع البيتزا، ثم قالت:

- "أحترم صراحتك وجرأتك.. ولهذا سأتحدث معك بصراحة، وبمنتهى الوضوح"

ثم تركت ما تفعل مرة أخرى، وهي تنظر إلى قائلة في هيام:

- "أستطيع أن أخبرك بصراحة ووضوح أيضًا أنني في حالة عشق لا تنتهي... أحب رجلًا لا مثيل له، ولم أحلم يوما بسواه... يسكنني... يذيبني... يسافر في دمي.. ولن أكون أبدًا لغيره"

غيرة شعرتها تطل من عيني وأنا أسأله:

- "ومن يكون؟"

تنهدت وهي تعاود إكمال ما تفعله، وشعرتها تتجنب النظر لعيني اللتين تلتهمانها التهامًا، ثم قالت في هدوء:

- "يكفي أن تعرف أن هناك رجلًا ما يسكنني وكفى... لست ملكًا لأحد آخر.. هو فقط"

- "ولكنه لا يظهر أبدًا"

- "قلت لك.. يسكنني.. يسافر في دمي.. يسبح في عروقي"

تساءلت في حيرة:

- "ولماذا لا تتزوجان؟"

ابتسمت، وقالت بنفس البساطة:

- "لأنني مازلت أنتظره... لم يأتِ بعد"

هززت رأسي، وأنا أسالها مستنكرًا:

- "أمازال حلمًا!؟"

نظرت إلي بحدة قائلة:

ـ "هو ليس حلمًا... هو موجود... حتى وإن تأخر، أو ضل طريقه إلي أعلم أنه سيأتي يومًا"

ـ "لا أفهم شيئًا... تخلصين لذكرى أم لحلم!؟"

ـ "هو ليس ذكرى.. ولا حلم.. هو واقع بداخلي.. هو واقع عمري وأيامي.. ولن أكون لسواه"

ـ "اسمحي لي.. هذا انتحار"

كست وجهها جدية للمرة الأولى أراها، وقالت في حدة:

ـ "لماذا انتحار؟؟ لأنني صادقة مع نفسي؟؟"

قلت مهدئًا إياها قائلًا:

ـ "آسف إذا كنت تسببت لك بأي ضيق.. ولكنني فقط لا أفهم"

تنهدت، وقالت وهي تتجه لمنضدة تتوسط المكان، وتضع عليها البيتزا:

ـ "فلتجلس إذن، وتتناول إفطارك، وسأشرح لك"

ثم اتجهت لتكمل إعداد الشاي، بينما جلست أنا حيث أشارت.. تأملتها وهي تكمل إعداد الشاي، وقد اكتست ملامحها ببعض الألم.. قلت لها في ضيق:

ـ "أعتذر حقًا لو ضايقتك"

هزت رأسها، وهي تنظر إلي مبتسمة:

ـ "لست أول من يسأل، ولست أول من يتعجب ويتهم.. اعتدت ذلك"

ثم اتجهت نحوي، وهي تمسك بفنجاني الشاى، وجلست أمامي، وهي تضعهما على المنضدة، ثم نظرت إلي قائلة في عذوبة:

ـ "هل أحببت من قبل؟"

ـ "بالتأكيد.. ومن منا لم يفعل؟"

- "إذن ستفهم ما سأقوله"
ثم ترقرقت في عينيها دمعة قائلة:
- "أنا أحبه... حقًا أحبه.. أنتمي له.. كنت أنا من أجله.. فقط من أجله.. كنت أنا التي تملأ الجو صخبًا وودًا وحبًا.. أيضًا من أجله"
سألتها مستنكرًا:
- "كيف لشخص لم تريه ولم يوجد؟"
قالت وكأنها تقر حقيقة:
- "أشعر بوجوده، ومهما طال الزمن، أشعره لن يضل طريقه إلي.. سيأتي، لأنني لن أكون إلا له... أشعر به يراقب لحظاتي، وينتظر فقط لحظة مناسبة ليظهر"
من فرط صدقها وهي تتحدث أصابتني دهشة شديدة، وقلت بدون أن أشعر
- "وماذا لو كان وهما؟"
قالت في صدق مضاعف:
- "يكفيني إحساسي بأنه موجود، لأعيش مخلصة له... صدقني أتعايش معه في كل لحظات عمري"
قلت مستنكرًا:
- "ولماذا لا تمنحين نفسك الفرصة لتعيشي كباقي البشر؟ تُحِبين وتُحَبين.. تستحقين ذلك.. صدقيني"
ابتسمت وهي تسألني:
- "ومن قال لك أنني لا أعيش هذا فعلًا؟.... قلت لك... أتعايش معه كل لحظات عمري وأيامي... أحبه ويحبني.. أعيش معه قصة عشق لا تنتهي"
ثم أكملت في هدوء:

ـ "صدقني.. متناغمة أنا مع نفسي جدًا في هذا الأمر، لدرجة أجبرتني ألا أضعف أمام أي رغبة في الارتباط"

سألتها غير مصدق:

ـ "لماذا؟"

أجابتني بصدقها المبهر:

ـ "كيف لي أن أظلم شخصًا آخر بارتباط غير قائم على الحب.. لا أملك شيئًا أمنحه إياه.. لا روحًا.. ولا جسدًا.. ولا حبًا.. قلت لك.. أنا مُلك لرجل واحد.. يسكن بداخلي منذ قديم الأزل"

ـ "ولكنك تستحقين حياة أفضل"

ـ "صدقني.. أنا أعيش أجمل أيام عمري في هذا المكان.. يكفيني صدقي مع نفسي، ومع من حولي.. يكفيني أن أعيش مرتاحة البال، لأنني لا أقصر في حق أحد... قل لي كيف بإمكاني أن أعيش حياة تقولون عليها طبيعية، وأنا أسيرة هوى شخص يسكنني، ويعيش بداخلي أبد الدهر؟"

تملكني فجأة شعور بالشفقة نحوها، وأنا أسالها:

ـ "وماذا عن الأمومة؟"

ابتسمت وهي تقول بصدقها المعتاد:

ـ "لن أكون الأم التي أحلم بها إلا لأطفالي منه.. صدقني لا أحد يعرفني مثلما أفعل أنا.. لا أستطيع أن أظلم معي أطفالًا أبرياء لا ذنب لهم سوى أنهم أتوا إلى هذه الحياة وأنا أمهم"

وجدتُني أهز رأسي غير مصدق، وأنا أردد في خفوت:

ـ "قديسة أنت؟؟"

ابتسمت وهي تهز رأسها نفيًا:

ـ "لا تبالغ.. فقط.. أنا صادقة مع نفسي للنهاية"

ثم مدت لي يدها بفنجان الشاي، وهي تبتسم قائلة:
ـ "فلنتناول الإفطار"
حاولت أن أبتسم بدوري، وأومأت برأسي تاركًا إياها تقوم بطقوس ضيافتي، بينما تسللت لمسامعي موسيقى أغنية (unforgettable) لـ(فرانك سيناترا)... تنهدت وأنا أشعر أنها ستطرق جراحًا مازالت تتكون بالفعل.
نظرت لها، وهي تذيب السكر في الشاي، ثم ابتسمت قائلًا:
ـ "أتعرفين أنك تشبهين السكر؟"
ابتسمت، وهي تنظر إلي نظرة خاطفة أعقبتها بتساؤل دافئ:
ـ "وكيف هذا؟"
ـ "تذوبين لتمنحي من حولك حلاوة الحياة.. ولكن بنكهتك أنت.. بطعمك.. وكأنك تذيبين الشيكولاتة في الشاي.. سيصبح حلوًا، ولكن بطعم الشيكولاتة"
ضحكت، وهي تسألني:
ـ "سكر أم شيكولاتة؟"
قلت لها بلهجة حاولت ألا تظهر حسرتي فيها:
ـ "كل ما هو حلو هو أنت"
نظرت إلى عيني قائلة في جدية:
ـ "أنت رجل رائع يا (مراد).. صدقني لو لم يكن بداخلي رجل ما أكيدة أنني كنت سأفسح لك المجال..."
ثم استدركت قائلة بابتسامة حانية:
ـ "ولكن هذا لا يمنع أن نصبح أصدقاء"
ابتسمت متنهدًا:

ـ "يسعدني ذلك بشدة يا (بيبا)"

ارتشفت الشاي ببطء، وأنا أتأملها مبتسمًا.. لكم هي جميلة بسمتها.. عيناها اللتان تفيضان عذوبة.. تمرد.. عناد يخفي ما بداخلها من مشاعر.. كل ما فيها جميل.. من يصدق أن هذه المرأة الجميلة.. الغامضة.. الساحرة.. الأخاذة.. وحيدة إلى هذه الدرجة رغم كل من حولها من البشر؟؟ ووجدتني دون أن أشعر.. أتذكر كلمات قرأتها يوما ما. واستشعرتها حينها.. "وجع الانتظار أشبه بطفلة يتيمة.. تنتظر عودة أبيها على حافة البيت.. الكل يعلم أنه لن يأتي.. وهي ترفض أن تصدقهم"*

شعرت برغبة جارفة في احتوائها... لم أملك حيالها إلا أن أسالها في شغف:

ـ "هل تسمحين لصديق عزيز أن يراقصك رقصة تعارف هادئة؟"

ابتسمت وهى تتأملنى في تعجب وهزت رأسها قائلة:

ـ "وعلى نغمات (unforgettable)... بالتأكيد لن أرفض يا (مراد)"

مددت يدي إليها.. احتويت كفها، وجذبتها إلي في رفق.. حاولت أن أحتويها دون أن أشعرها بشغفي.. لأنني صديق.. مجرد صديق.. لامرأة.. سأتذكرها دومًا كلما تذوقت الشيكولاتة.. لأنها امرأة بنكهة الشيكولاتة.. لأنها امرأة تختلف.. لأنها (بيبا).

******

{خاتمة}

ألف امرأة

هاجر محمد جمال الدين

تُسقط السماء حبات المطر..
تعيد الحياة للأرض والشجر...
وقلبي ما زال ينتظر...
على الرمال الساخنة...
والحجارة القاسية...
لهفة... كادت تشعل جفوة
في جروح غائرة...
صوت المطر...
صمت الحجر...
أنتفض.. ثائرة..
ما عدت أقوى...
إني راحلة...
فيضان يجتاح عروقي...
أبحث عن قافلة...
أنا ألف امرأة... خاسرة
تعيش دون حياة...

تدور عليها الدائرة...

تصبر.. تتحمل...

والغربة.. قاتلة

والوحدة.. كاسرة...

أنا ألف امرأة...

أعود لوطني... لقلبي..

وأعترف...

ما عدت أبدًا... راحلة

******

شكر خاص لأستاذة (رباب فؤاد) على تيسير كل العقبات وسعة صدرها والمساعدة لأبعد حد. يكفينا ما قدمت لنا من معلومات جعلتنا نخطو هذه الخطوة بتثبت.

◄ الفهرست ►

► إصدارات دار الفؤاد للنشر والتوزيع ◄

الكتاب	النوعية	المؤلف
دقات على باب الغربة	أدب رحلات	عبد الحميد السنبسي
خفقات دامعة	رواية	رباب فؤاد
خيانة واي فاي	رواية	سلافه الشرقاوي
الخروج من مصر الجديدة	رواية	إسلام محمد عيسى
تحوت..الإله المنتظر	رواية	كريم الشهاوي
شقلب أحوالك	رواية	وليد نبيه
اديني عقلك وامشي حافي	مقالات ساخرة	محمد أبو جاد الله
جرعة نيكوتين - ط٢	مجموعة قصصية	محمد طارق
ثورة محظورة النشر	وثائقي	محمد عبد الغفار
أقرباذين	مجموعة قصصية	محمد سمير رجب
حب في زمن الثورة	كتاب جماعي	كتاب جماعي
أماليا	رواية	ميرفت البلتاجي
رسم قلب	كتاب جماعي	كتاب جماعي
ولادة متعسرة	مجموعة قصصية	دعاء سيف
فابريكا	ديوان شعر	عبده نافع
نقطة.. من أول السطر	رواية	سناء البريتي
أصل الحكاية	رواية	محمد عبد العاطي


دار
الفؤاد
للنشر والتوزيع